المدخل لدراسة الفرق الكلامية

الجزء الأول

آ.د.عبدالجبار عبدالواحد العبيدي
استاذ الفكر الإسلامي
الطبعة الُأولى

العراق ـ بغداد *1440*هـ/ *2019*م

مكتب مرمر
للطباعة والنشر والتوزيع
بغداد الاعظمية شارع الشباب قرب رئاسة الجامعة العراقية
07704250907هاتف
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (978)لسنة 2019

جميع الحقوق محفوظة
للمؤلف
يسمح لكل مسلم الاقتباس من هذا الكتاب أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
أو حفظه ونسخه في أي نظام الكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الاستاذ المتمرس الدكتور

بشير مهدي الطيف الكبيسي

الاقدام على الكتابة في الفرق الكلامية ارتقاء لمرتقى صعب , عليه ان يدخل الغرف المظلمة للأفكار المتضاربة فكل فرقة منها تنادي انا الفرقة الناجية فهلم اليّ, فلسفات اختلط فيها الغث والسمين تحتاج الى بارع ينخل هذه المعتقدات نخلاً , صحيح ان الباحث لا يريد الانحياز الى فرقة دون اخرى , لكن الحياد يكون دونه خرط القتاد.

ولا يتقنه الا ذو دربة ودراية تحيطه من الزلل وتعيذه من الخطل كي يتمكن من سحب ردائه من بين اشواك المعتقدات ,

وقد اطلعت على ما كتبه الاخ الفاضل والباحث النحرير ذو القلم السيال والفكر الناضج والميزان العدل اخونا الاستاذ الدكتور عبد الجبار صالح العبيدي.

والذي تربطني به رابطة العلم منذ عقود من الزمن وخبرت تجاربه متدرعاً بالصبر والاناه حين يبحث او حين يقوم البحوث ,

وقبل ان اكتب هذه الاسطر عن موسوعته (الفرق الكلامية) تورعت الكتابة اولاً هيبة من الوصول الى نتائج لا ترضي فكنت كمن يقدم رجلاً ويؤخر اخرى كي لا تزل قدمي في مرتاه الصعب , لكن بعد ان تيقنت ان الباحث الكريم كان عند حسن الظن فيما كتب وكان الحياد دأبه في احكامه على هذه الفرق وهو ما شجعني ان اقدم على هذا التقديم .

فتحية للأستاذ الجليل ومبارك عليه هذا البحث الجميل .

اقول هذا وانا اعلم ان قلمه السيال لا يقف عند حد ولا يثنيه عن الكتابة اي مصد ودعائي ان يبارك الله جهوده ويينع ثمار غرسه ليأكل الباحثون منه حلالاً طيباً .

الاستاذ المتمرس الدكتور

بشير مهدي الطيف الكبيسي

بغداد في 2021/8/10

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الذي نهانا عن التفرق في الدين فأنزل في محكم كتابه المبين چ ج چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ[1]

والصلاة والسلام على رسوله المبلغ الأمين والمبعوث رحمة للعالمين الذي بلغنا عنه ((من فارق الجماعة قيد شبرٍ فقد خلع ربق الاسلام من عنقه))[2]

---

[1] الأنعام: ١٥٩.

[2] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن َمْعبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، الُبستي (المتوفى: 354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى739:هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط/1، 1408 هـ - 1988م، برقم(6233) ،

،وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين. ...
وبعد...
فان الإسلام دين الوحدة الإجتماع ويأمر اتباعه بالإجتماع على كتاب الله Y وسنة رسوله ، ρ ولكن الخلاف أمر لابد منه .وقد كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة مجتمعة في العهد النبوي وعهد خلفائه الراشدين،ولكن ظهر الخلاف والتفرق وظهرت النظريات المخالفة لكتاب اللهY،وإجماع الصحابة في أواخر عهد الخلفاء الراشدين ، حيث ظهرت بدعة الخوارج وفضلا عن كون الاسلام مشحون بالنصوص المحذرة من الفرقة الداعية الى الوحدة كان بالمقابل أسباب كثيرة للانفصال والتفرق، لعل اهمها بعد الامة عن الكتاب الكريم والسنة النبوية والجهل بالاسلام وعقائده، وضعف التربية الاسلامية الصحيحة الداعية الى أن ننظر بمنظار الإسلام لا بمنظارنا الى الاسلام فابتعدنا عن الطريق المستقيم الى طرق مائلة كثيرة وتمسك كل واحد منا بواحدة منها، ونسينا ما معنا من الحق وزهدنا فيه.
وبدلاً من أن نبحث في أسباب هذا البعد وما وصلنا اليه من الحال، انشغل كل منا بأخيه وما يحمل من معتقد، لنقف اليوم امام صورة مشوهة عن المسلم الذي أراد اللهY وعن الامة التي أرد، هذا فضلا عن أن كلاً منا ان لم يمسك الحق كله كان بيده طرفه او شيئ منه.
ونسينا ان وحدة الأمة وتمسكها مطلب شرعي قال تعالى چ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[3].

والذي نرجو من وراء هذه الدراسة أن تحقق أهدافاً طيبة في خدمة الإسلام، وفي كسر حدة الخلافات التي مزقت المسلمين وفرقتهم إلى فرق وأحزاب متناحرة ، والتي تهدف كذلك إلى جمع كلمتهم، ولفت أنظارهم إلى مواقع الخلاف فيما بينهم؛ ليبتعدوا عما وقع فيه من سبق من هذه الأمة، فإن

.126/14

[3] آل عمران: من الآية: ١٠٣.

الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل، فهي نوع من أنواع العلاج لتلك المآسي الحالّة بالمسلمين،

وسبب من الأسباب التي تبذل لينفع الله بها إن شاء؛ لأن معرفة الدواء النافع يتوقف على معرفة الداء.

ولا يحتاج المسلمون لجمع كلمتهم، وإعادة مجدهم وعزهم وانتصارهم على جحافل الكفر والطغيان إلا إلى العودة الصادقة والنية الخالصة، فإن الأسس التي قام عليها عز الإسلام والمسلمين فيما سبق لا تزال كما هي قائمة قوية جديدة على مر الأيام والليالي - كتاب اللهY وسنة رسوله ρ.وأنه إنما َصَلح أول هذه الأمِة بالتمسك بكتاب اللهY وُسَّنة نبيهρ الخالية عن شوائب التشويه والتغيير، والَّدس والَوضع، ولن يصلح

آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ومن هنا احسست بضرورة البحث في فرقة المسلمين، ولأن كل أمرٍئ رهين بمعتقده وأسير لعقيدته كانت لي قناعة أن معالجة الفرقة تبدأ أولاً بالعقيدة.

فلقد كانت العرب قبل نزول القرآن بعقيدته السمحة قبائل متناثرة متناحرة على الرغم من وجود كل مقومات التجمع من الأرض واللغة والمقصد، فكان نزوله بها النقلة الحقيقية التي نقلت العرب من شتاتهم ليكونوا خير أمة أخرجت للناس.

وهو الذي سيُخرجنا بها اليوم إن شاء الله تعالى من سباتنا ليُعيد لنا وحدتنا لنستحق خيرية من وصفنا بالخيرية. قال تعالى چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پپ چ[4] ، وقال Y : چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ[5]،

والايات في هذا المعنى كثيرة جدا مما يدل على ان وحدة الامة عقيدة ومنهجا امر واجب لازم لا خيار للمسلم في تركه واهماله.

ولا شك ان هذا المطلب الشرعي هو من اولى الاوليات من باب ما لم يتم واجبه الا به فهو واجب، فهو الوسيلة للعز والنصر والتمكين، فلا قيام للأمة

---

[4] الأنفال: من الآية: ٤٦.

[5] آل عمران: من الآية: ١١٠

الاسلامية الا باتلافها ووحدتها للدفاع عن حوزة الدين والحرمات قال تعالى: چ پ پ پ ڀ ڀ چ [6] جعل الله نصرة رسوله ρباجتماع كلمة المؤمنين من حوله فقال تعالى مباشرة بعدها چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ[7] ، ومما لا شك فيه ان هذه الصورة للامة التي

ارادها الله تعالى مغايرة تماما للواقع الحالي، فقد تفرقت بالمسلمين السبل واصبحت عقائدهم شتى بعد ان كانت واحدة، فأفرز هذا الواقع الاليم الذل والمهانة والفشل وهو الذي اطمع في هذه الأمة اعدائها فحل الجهل بفقه الخلاف محل الحوار ، والعنف محل الحكمة والموعظة الحسنة وتفشى التكفير في المسائل الاجتهادية التي تقتضي الصفح والوئام، فاستبيحت الدماء.

منهج البحث:

اعتمدت المنهج الوصفي والتحليلي، وذلك بجمع المعلومات من مصادرها، ومحاولة تحليلها للوصول إلى النتائج المرجوة.

خطة الدراسة :

لمقتضيات الدراسة الشكلية سلكت الخطة التالية :

الجزء الأول: ويشتمل على:

مقدمة

الفصل الأول

مباحث تمهيدية:

تمهيد: تعريفات

---

[6] الأنفال:من الآية: ٦٢.

[7] الأنفال: ٦٣ .

المبحث الأول : نشأة الفرق العقلية والهدف من دراسة الفرق الكلامية، و أهمية دراستها، وفيه: المطلب الأول: نشأة الفرق العقلية، المطلب الثاني :الهدف من دراسة الفرق الكلامية، المطلب الثالث:أهمية دراسة الفرق الكلامية

المبحث الثاني :تعريف الافتراق لغة واصطلاحا، والفرق بين الافتراق والاختلاف ، ويشتمل على: المطلب الأول: الافتراق لغةً، المطلب الثاني :الافتراق في الاصطلاح، المطلب الثالث : الفرق بين الافتراق والاختلاف.

الفصل الثاني

النصوص التي جمعت بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة من الكتاب والسنة والأمر بلزوم الجماعة والتحذير من الفرقة وبيان حال أهل الفرقة والاختلاف.

المبحث الاول: النصوص التي جمعت بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة من الكتاب والسنة، وتضمن : المطلب الأول:النصوص التي جمعت بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة من الكتاب ، المطلب الثاني: النصوص التي جمعت بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة من والسنة، المطلب الثالث : الأمر بلزوم الجماعة والتحذير من الفرقة، المطلب الرابع :بيان حال أهل الفرقة والاختلاف.

الفصل الثالث

بيان حال أهل الفرقة والاختلاف واسباب التفرق ،الفرقة من وسائل الشيطان وضررها على الفرد المفارق والمجتمع المسلم و والفرقة الناجية ، ومنهج العلماء في عدَّ الفرق.

المبحث الاول: بيان حال أهل الفرقة والاختلاف واسباب التفرق، الفرقة من وسائل الشيطان على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة ، وفيه: المطلب الاول بيان حال أهل الفرقة والاختلاف، المطلب الثاني: اسباب التفرق، المطلب الثالث: الفرقة من وسائل الشيطان على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة ، الفرع الأول: :ضرر الفرقة على الفرد المفارق، الفرع الثاني : **ضرر الفرقة على المجتمع المسلم.**

المبحث الثاني: الفرقة الناجية ،و منهج العلماء في عدَّ الفرق، ويشتمل على:
تمهيد، المطلب الأول : الفرقة الناجية، المطلب الثاني: منهج العلماء في عدَّ الفرق.

الجزء الثاني
الفصل الأول
فرقة المرجئة

المبحث الأول المرجئة لغة واصطلاحاً، وفيه :المطلب الأول: المرجئة لغة ، المطلب الثاني: المرجئة اصطلاحاً.
المبحث الثاني: نشأة المرجئة وأصولها ، ويشتمل على : المطلب الأول: نشأة المرجئة
المطلب الثاني: أصولها .
المبحث الثالث: عقائد المرجئة ، ويحتوي على: المطلب الأول: العلاقة بين إيمان القلب وإيمان الجوارح وعلاقة قول اللسان بقول القلب وعمله، المطلب الثاني: مسمى الإيمان عندفقهاء المرجئة ، المطلب الثالث: الإيمان والاسلام عند المرجئة، المطلب الرابع: مفهوم الإيمان والكفر عند المرجئة، المطلب الخامس : حكم مرتكب الكبيرة عند مرجئة الفقهاء.

الفصل الثاني
فرقة الجهمية

المبحث الأول: التعريف بالجهمية نشأتها، وفيه : المطلب الأول: التعريف بالجهمية،
المطلب الثاني: نشأة الجهمية .
المبحث الثاني:أهم عقائد الجهمية: المطلب الأول: مسمى الإيمان عند الجهمية
المطلب الثاني: الإسلام والإيمان عند الجهمية

الفصل الثالث
فرقة الخوارج

المبحث الأول: تعريف الخوارج لغة واصطلاحاً ، ويشتمل على: المطلب الأول : تعريف الخوارج لغة، المطلب الثاني: تعريف الخوارج اصطلاحاً.
المبحث الثاني: نشأة الخوارج و اسباب خروجها، وفيه: المطلب الأول : نشأة الخوارج،

المطلب الثاني: اسباب خروج الخوارج ، تمهيد، المطلب الثالث: صفات الخوارج.
المبحث الثالث :آراء الخوارج الاعتقادية ويضم : المطلب الأول: آراء الخوارج في بعض مسائل الإلهيات والسمعبات، تمهيد، المطلب الثاني: آراء الخوارج في الإيمان،
تمهيد، المطلب الثالث: حكم الخوارج على مرتكبي الذنوب،المطلب الرابع: وجوب الوعد والوعيدعند الخوارج، المطلب الخامس: أدلة الخوارج على تكفير العصاة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

الفصل الرابع

فرقة الأشعرية

المبحث الأول :نشأة الأشعرية
المبحث الثاني : عقائد الاشعرية، وفيه: المطلب الأول : توحيد الربوبية عند الاشعرية، المطلب الثاني:توحيد الالوهية عند الاشعرية، المطلب الثالث: منهج الاشعرية في توحيد الاسماء والصفات، المطلب الرابع: مفهوم الايمان والكفرعند الاشعرية، المطلب الخامس:القضاء والقدر عند الاشعرية، المطلب السادس: التحسين والتقبيح عند الاشعرية ، المطلب السابع: العادة والاسباب عند الاشعربة.

الفصل الخامس

فرقة المعتزلة

المبحث الأول: التعريف بالمعتزلة ونشأتها، وفيه: المطلب الأول: التعريف بالمعتزلة،
المطلب الثاني: نشأة المعتزلة.
المبحث الثاني أهم عوامل ظهور المعتزلة وانتشار أفكارهم ، يشتمل على : المطلب الأول: أهم عوامل ظهور المعتزلة، المطلب الثاني: انتشار أفكارالمعتزلة .
المبحث الثالث : فرق المعتزلة و أبرز ملامح الاعتزال، وفيه : المطلب الأول: فرق المعتزلة ، المطلب الثاني :أبرز ملامح الاعتزال، المطلب الثالث: التطور الفكري للمعتزلة
المبحث الرابع : معتقداتهم : وفيه : المطلب الأول :_العقل عند المعتزلة، المطلب الثاني:أصول المعتزلة، المطلب الثالث: الإيمان عند المعتزلة.

الفصل السادس

فرقة الماتريدية

المبحث الأول التعريف بالماتريدية ومؤسسها، وفيه : المطلب الأول: التعريف بالماتريدية، المطلب الثاني : مؤسس الماتريدية.

المبحث الثاني : عقائد الماتريدية، ويشتمل على : المطلب الأول: أسس وقواعد تقرير العقيدة عند الماتريدية ، المطلب الثاني: عقيدة الماتريدية في الإيمان، المطلب الثالث:عقيدتهم في النبوة ، المطلب الرابع:اليوم الآخر عند الماتريدية، المطلب الخامس: عقيدة الماتريدية في القضاء والقدر، المطلب السادس: مذهب الماتريدية في أفعال العباد، المطلب السابع: مذهب الماتريدية في القدرة والاستطاعة والتكليف بما لايطاق، المطلب الثامن: أهم آراء الماتريدي إجمالًا .

جريدة المصادر والمراجع

هذا جهد المقل فان وفقت للصواب بفضل الله تعالى وان جانبني الصواب فمن نفسي واستغفر الله تعالى ، والله أسأل ان يوفقنا بالقول والعمل لكل ما يحب ويرضاه منا ، وصلى الله على نبينا الاكرم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الاخيار المقربين ، ورضي الله تعالى على العلماء العاملين والائمة المجتهدن في الدين.....

عبدالجبار العبيدي

بغداد

الأحد30/ ربيع الثاني/1440هـ

6/ كانون الثاني/2019م

الفصل الأول
مباحث تمهيدية
تمهيد: تعريفات

1. (الفِرْقة) :جمع فرق، واحدة الفرق من الناس (ٱلْفَرَقة) الطائفة من الَّناس يُقال فرقة التَّمثيل َوفْرَقة الألعاب َوفْرَقة المطافئ ،(ٱلْفِرَقةُ) الطائفةُ ِمَن الَّناس تربطهم متقدات معينة. الفرقة الدينية: الجماعة المتميزة بشئ من عقائدها عمن تشترك معه بنفس الدين تمييزا لا يخرجها إلى الكفر[8] .
2. (الملّة): الطريقة المسلوكة، ومنها: مّلة إبراهيمρ خير الملل[9]، المِّلةُ: الِّدينُ[10] ، كمَّلِة ِالإسلام والَّنصرانية وٱلَيُهودَّية، َوقيَل: الدِّينُ كملَّةِ الإسلام والنَّصرانية وَالْيَهُودِيَّةِ، وَقِيلَ: هِيَ مُعْظم الدِّينِ، وَجُمْلَةُ مَا يَجِيءُ بِهِ الرُّسُلُ.

---

[8] مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ال ارزي (المتوفى: 666هـ)،تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط/5، 1420ه/ -1999 م، ص 228، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم،نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان،) دار الفكر (دمشق - سورية،) ط/5، 1420هـ - 1999م، 5139/8،المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار (دار الدعوة، ،2/ 685معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،ط/2، 1408ه ـــ -1988 م، 1/ 344.

[9] أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط/ 1419 ،1هـ1998م، 2/ 228.

[10] النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد ال ازوى - محمود محمد الطناحي،المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م،4/ .360 .

وتَمَلَّلَ وامْتَلَّ: دَخَلَ فِي المِلَّة[11]. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : چ ٱ ب ب ب ٻ ٻ ٻ پ پ پ ٻ ٻ پپ چ [12] .

قَالَ الرّاغِبُ: المِلَّةُ: اسْمٌ لِما شرعَهُ الله تَعَالَى لعِبادِه على لِسانِ أَنبِيائه لِيَتَوَصَّلوا بِهِ إِلَى جِوارِه، والفرقُ بينَها وبينَ الدِّينِ إنَّ المِلَّةَ لَا تُضافُ إلاّ للنَّبِيِّ الَّذِي تستنِدُ إِلَيْهِ، وَلَا تكادُ توجَدُ مُضافَةً إلاّ إِلَى الله تَعَالَى، وَلَا إِلَى آحادِ الأُمَّةِ، وَلَا تَستعمَلُ إلاّ فِي جُملَةِ الشَّرائعِ دونَ آحادِها[13].

ووردت في القرآن الكريم چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ[14] .، چ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ [15]، چ ٱ ب ب ٻ ٻ پپ چ[16] .

3. (الْأمة) : كل جمَاعَة يجمعها أَمر أَو دين أَو زمَان أَو مَكَان وَاحِد، سَوَاء كَانَ الْأَمر الْجَامِع تسخيرا أم اخْتِيَارا فَهِيَ أمة ، كل من آمن بِنَبِي فَهُوَ أمة الْإِجَابَة، وكل من بلغه دَعْوَة النَّبِي فَهُوَ أمة الدعْوَة، وَأم كل شَيْء: أَصله[17].

---

[11] **لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط/3، 1414 هـ، 631/11، تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 421/30.**

[12] البقرة: من الآية: ١٢٠ .

[13] تفسير **الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا،ط/1، 1420 هـ - 1999 م، 1/ 305.**

[14] البقرة: من الآية: ١٣٠ .

[15] آل عمران: ٩٥.

[16] يوسف: من الآية:٣٨.

[17] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص 176.

4. (الطائفة) : عصَبة [18]، الطائفة: الجماعة، والفرقة، والطائفة من الشئ: القطعة منه تقع على القليل والكثير، وفي التنزيل الكريم: چ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[19] ، قال ابن عباس، ومجاهد، وأحمد: الطائفة: واحد، فما فوقه، وقال عطاء، واسحق: اثنان، وفصاعدا، وقال الزهري: ثلاثة نفر، فصاعدا، وهو قول للشافعي، وقال مالك: أربعة، فأكثر، وهو قول للشافعي، قال قتادة: أمر الله أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، أي نفر من المسلمين يكون ذلك موعظة، وعبرة، ونكالا[20]،

وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة منها :چ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى چ[21] چ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ چ[22] ، چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[23] ، چ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ[24]، چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ[25] ، چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى چ[26]، چ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ چ[27]،

---

[18] المصدر السابق، ص586.

[19] النور: ٢.

[20] **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق – سورية، ط/2، 1408 هـ = 1988 م، ص 235.**

[21] آل عمران: ٦٩.

[22] آل عمران: ٧٢.

[23] آل عمران: من الآية:١٥٤.

[24] النساء: من الآية:٨١.

[25] النساء: من الآية:١٠٢.

[26] الأعراف: ٨٧.

[27] التوبة: ١٢٢.

چ ی ی ی □ □□ □□□ □□ بم بى □ □□ □□ تم□□□ثم□□□□
□□ چ[28]. .

5. (المذهب): المعتقد الذي يذهب إليه ، والطريقة[29] .

والمذهب: ذلك الاتجاه الذي سار عليه كل إمام من أئمة الاجتهاد في استنباطهم للأحكام، من حيث اعتمادهم على الرأي أو على النصوص، أو عليهما معا.

وعرُّف المذهب بأنه : مجوعة الآراء والأفكار التي يراها أو يعتقدها إنسان ما ،حول عدد من القضايا العلمية والسلوكية [30] . ولم يكن المذهب بالمفهوم الذي استقر عليه فيما بعد معروفا بين المسلمين في عصر الأئمة أصحاب المذاهب فمالك وغيره من أئمة الاجتهاد لم يكونوا يعرفون معنى المذهب وانما كانوا ينشرون علم السنة وفقه الصحابة والتابعين، ولذلك قيل: إن نسبة المذهب إلى صاحبه لا يخلو من تسامح، بعبارة أخرى: المذاهب الفقهية هي مدارس علمية في فهم النصوص الشرعية، وفي استنباط الأحكام الفقهية التي يحتاج المسلمون في نوازلهم وما يستجد في حياتهم إلى معرفة الحكم الشرعي المناسب لها، اعتمادا على قواعد علمية وضوابط محكمة [31].

6. (الجماعة): اسم لعدد كبير من الناس ، جماعة أو طائفة من أشياء متجانسة ، وقد يستخدم في غير الناس ، جماعة الحيوانات ، جماع النباتات[32].

---

[28] الصف:مت الآية: ١٤.

[29] الكليات ، الكفوي،ص868.

[30] ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي،إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،ط/4، 1420هـ، 1142/2.

[31] ينظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ناصر القفاري - ناصر العقل، دار الصميعي - الرياض ، ط/1، 1413هـ ــ 1992 ،ص 10، علم الملل ومناهج العلماء فيه، أحمد بن عبد الله جود، دار الفضيلة ، الرياض ، 1425هـ ــ 2005م، ص 20.

[32] ينظر:معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل،عالم الكتب، ط/1، 1429ه ــ 2008 م، 1/ 397.

7. (علم الكلام) : علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام[33] اوعلم أصول الدِّين الذي يرمي إلى إثبات العقائد الدينيّة بإيراد الحُجَج ودفع الشُّبَه[34] ، وعلم الكلام يعرف أيضا باسم علم التوحيد، وعلم أصول الدين، وعلم الفقه الأكبر، وعلم الإيمان، وعلم الأسماء والصفات، وعلم أصول السنة، أحد أبرز العلوم الإسلامية الذي يهتم بمبحث العقائد الإسلامية وإثبات صحتها والدفاع عنها بالأدلة العقلية والنقلية . وهو علم يعنى بمعرفة الله تعالى والإيمان به، ومعرفة ما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز، وسائر ما هو من أركان الإيمان الستة ويلحق بها، وهو أشرف العلوم وأكرمها على الله تعالى، لأن شرف العلم يتبع شرف المعلوم لكن بشرط أن لا يخرج عن مدلول الكتاب، والسنة الصحيحة، وإجماع العدول، وفهم العقول السليمة في حدود القواعد الشرعية، وقواعد اللغة العربية الأصيلة[35] .

وعرف علم الكلام بأنه هو: علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانيّة بالأدلّة العقليّة والرّدّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن

---

[33] التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط/1، 1403هـ -1983م، ص 156.

[34] **معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/ 1954.**

[35] ينظر: غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ)، تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، ص 25 وما بعدها، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: 733هـ)، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني ، دار السلام للطباعة والنشر – مصر ،ط/1، 1410هـ - 1990م، ص36وما بعدها.

مذاهب السّلف وأهل السّنّة[36] ، أو هو (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية، وإبراز الحجج، ودفع الشبه)[37] .

المبحث الأول
نشأة الفرق العقلية والهدف من دراسة الفرق الكلامية، و أهمية دراستها

المطلب الأول
نشأة الفرق العقلية

بعد وفاة رسول الله ρوانقطاع الوحي بدأ بعض الأفراد بنشر بعض هذه المذاهب الباطلة أول من تكلم في القدر معبد بن خالد الجهني[38] فقال: (لا قدر والأمر أنف) [39]وقد أخذ ذلك من رجل نصراني من أهل العراق أسلم ثم تنصر اسمه (أبو يونس سنسويه) من الأساورة [40]، وقد أخذ عن معبد هذا غيلان

---

[36] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،(مقدمة ابن خلدون) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي(المتوفى: 808هـ) تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت،ط/ 1408 ،2ه ــ -1988 م، ص 580.

[37] المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي (المتوفى: 756 هـ) ، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ط/1، 1997 ،ص9.

[38] ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بخطط المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ، ط/1، 1418 هـ ،181/4 ،ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن َقأيماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) تحقيق :علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ط/1، 1382 ه ــ1963 م ، 141/4 ، تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط/1، 1326 هـ ،10/ 235وما بعدها.

[39] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري،ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/3 ،1404هـ ،ص10.

[40] ينظر: الخطط المقريزية، 181/4 ، الميزان للذهبي، 141/4، تهذيب التهذيب لابن حجر، 235/10وما بعدها.

الدمشقي[41] وهو الذي نشره بين المسلمين وقتل من أجله وقد أنكر عليهم مذهبهم هذا وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله بن عمر وجابر بن عبدالله وأبي هريرة وابن عباس وأنس ابن مالك وعبدالله بن أبي أوفى وعقبة بن عامر الجهني[42] .

وأساس فكرة القدرية إنكار القدر وإن للإنسان مطلق الحرية في أفعاله لا سلطان لأحد على إردته وعلى النقيض من ذلك نشأت فرقة أخرى تقول بأن الإنسان مجبور في أفعاله لا اختيار له ولا قدرة كالريشة المعلقة في الهواء... وتسمى تلك الفرقة بالجبرية. ونشأت فرق أخرى كثيرة بعد هذا كان من أهمها: فرقة المعتزلة التي أخذت برأي معبد الجهني[43] من إنكار القدر وأضافت إليه آراء أخرى سنذكرها فيما بعد.

ولم تزل العلوم العقلية تنمو وتتسع مع توسع الفتوح الإسلامية وكثرة ترجمة كتب البلاد المفتوحة فتعددت المشارب وتنافست تلك الفرق على المناظرات فيما بينهم والجدل. فإذا علماؤهم لا يتحدثون إلا عن المنطق وحدوده وقضاياه وأقيسته فألفت الكتب وعقدت المناظرات وكثرت المناقشات والمجادلات فإذا بمؤلفاتهم تغص بالمصطلحات الفنية كالجوهر والعرض والهيولي والصورة والقياس والقضايا السالبة والموجبة وقاوم هذا بعض أئمة المسلمين ممن لم يكن له اطمئنان إلى هذه الفلسفة وإلى ألفاظها ومصطلحاتها[44] ولكي ندرك مقام العقل في خضم هذه المعارك العلمية ينبغي لنا أن نقول أن العقل لم يسلم من مذهب التضاد الذي ساد بين تلك الفرق فذهبت فرقة إلى امتهان العقل واحتقاره واعتقدوا في بعض البله (مع تركه لمتابعة الرسول ρ في أقواله وأفعاله وأحواله) أنه من الأولياء وفضلوهم على متبعي طريقة الرسولρ [45] واستدلوا

---

41 ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر،10/ 236.

42 ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: 429هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط/2 ،1977 ،ص15.

43 ينظر: الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي، ص98.

44 ينظر: الفكر الإسلامي بين الامس واليوم، محجوب بن ميلاد، (المتوفى 2000م) الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ط/1، 1955 م، ص86.

45 ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل) د. صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ ، خرج احاديثه : سليمان القاطوني ، دار المودة للنشر والتوزيع ، مصر ، ط/1431،1هـ ــ 2011م ،ص573.

لمذهبهم هذا بما روى عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ:(دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أكثر أهلها البُلْهُ)[46] .

وبالحديث المروي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ τ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: (إِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ) فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ , فَقَالَ: مَعْنَاهُ مَعْنًى صَحِيحٌ. وَالْبُلْهُ الْمُرَادُونَ فِيهِ هُمُ الْبُلْهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا مَنْ سِوَاهُمْ مِمَّنْ بِهِ نَقْصُ الْعَقْلِ بِالْبَلَهِ , وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ.[47]

وفي هذا قال شاعرهم:

هم معشر حلوا النظام وخرقوا الس ياج فلا فرض لديهم ولا نفل

مجـــــانين لا أن ســـــر جنـــــــونهم عزيز على أبوابه بسجد

العقل[48] ويبين الغزالي سبب ذمهم للعقل (فإن قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب فذموا العقل والمعقول وهو

---

[46] الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: 365هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود-علي محمد معوض،شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية ، بيروت،لبنان، ط/1 ، 1418هـ ـ1997م، 1/ 314 وما بعدها، قَالَ الشَّيْخُ: وَهَذَا حَدِيثٌ بَاطِلٌ بِهَذَا الإِسْنَادِ ..

[47] شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،ط/1، 1415 ، 1994 م ، برقم(2982) ،7/ 431 ، مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: 454هـ،،)تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط/2 ،1407هـ ـ 1986م، إِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ ،برقم (989) 2/ 110 ، شعب الإيمان، **أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)**، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت،ط/1410،1 هـ برقم (1305) 2/ 498 .

[48] منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مؤسسة الرسالة، ط/2، 1403هـ ـ 1983م، ص 41.

المسمى به عندهم)[49]
ولعل بطلان مذهب هذه الفرقة ظاهر إذ أنها لا تستند إلى شرع ولا إلى عقل وإلى هذا يرجع فيما أرى سبب عدم اشتهارها فلذا لم يهتم بها أحد من العلماء.
أما أنها لا تستند إلى شرع فإن جل ما استندوا إليه الحديثان السابقان وهما ضعيفان أما الأول فلأن في سنده مصعب بن ماهان قال في التقريب صدوق عابد كثير الخطأ، وفيه أيضاً أحمد بن عيسى الخشاب قال ابن عدي له مناكير ثم ساق له هذا الحديث[50]، أما الحديث الثاني فقال ابن عدي وهذا حديث باطل بهذا الإسناد[51] وقال المناوي :ووجه ضعفه ما قاله الهيتمي أن فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أحمد بن صالح وغيره، وقال ابن الجوزي (لا يصح) وقال الدراقطني تفرد به سلامه عن عقيل وهو ضعيف[52] .
ثم إنه لا يراد بالأبله (الذي لا عقل له) بل المراد به الْغَافِلُ عَنِ الشَّرِّ الْمَطْبُوعُ عَلَى الْخَيْرِ[53].
وأما أنها لا تستند إلى عقل فلمنافاتها له وإسقاطها لقيمته. وكما قلنا أن بطلان مذهب هذه الفرقة ظاهر لا يحتاج إلى طويل جدال وإنما ذكرته لإعطاء صورة عن تفاوت المذاهب في تلك الفترة في كل أمر مهما كان وضوح الحق فيه.
هذا ما ذهبت إليه تلك الفرقة. وذهبت فرق أخرى إلى المبالغة في تقديس العقل وإعطائه أكثر من حقه في مقابلة الأمور والاعتقادات الشرعية. وأكثر من

---

[49] إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) دار المعرفة – بيروت،89/1 .
[50] تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد ، سوريا،ط/1، **1406 – 1986، ص 533.**
[51] الكامل في ضعفاء الرجال، 314/1 .
[52] فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر،ط/1، 1356هـ، 79/2.
[53] المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)،علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نورالدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة – بيروت،ط/2، 1398هـ ، ص57.

اشتهر عنها هذه الطريقة فرقة (المعتزلة) حتى أطلق عليهم المستشرقون اسم (العقليين) [54]

المطلب الثاني
الهدف من دراسة الفرق الكلامية

ان الهدف الاسمى من هذه الدراسة جمع كلمة المسلمين، ولفت أنظارهم إلى مواقع الخلاف فيما بينهم؛ ليبتعدوا عما وقع فيه من سبق من هذه الأمة، فإن الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل، فهي نوع من أنواع العلاج لتلك المآسي الحالّة بالمسلمين، وسبب من الأسباب التي تبذل لينفع الله بها إن شاء؛ لأن معرفة الدواء النافع يتوقف على معرفة الداء.

ولا يحتاج المسلمون لجمع كلمتهم، وإعادة مجدهم وعزهم وانتصارهم على جحافل الكفر والطغيان إلا إلى العودة الصادقة والنية الخالصة، فإن الأسس التي قام عليها عز الإسلام والمسلمين فيما سبق لا تزال كما هي قائمة قوية جديدة على مر الأيام والليالي ،كتاب اللهY وسنة رسولهρ.وأنه إنما َصَلح أوُل هذه الأمِة بالتمُّسك بكتاب اللهY وسُّنة نبيهρ الخالية عن شوائب التشويه والتغيير، والَّدِس والَوضع، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وتلك الأهداف التي نتطلع إلى تحقيقها كثيرة نذكر أهمها فيما يأتي:

1. تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من العزة والك ارمة والمنعة حينما كانوا يداً واحدة، وقلباً واحداً.
2. لفت أنظارهم إلى الحال الذي يعيشونه، ومدى ما لحقهم من الخسارة بسبب تفرقهم.
3. توجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة فيما بينهم، وذلك بالتركيز على ذم التفرق وبيان مساوئه، وبيان محاسن اتحاد المسلمين، وجمعهم على طريق واحد.
4. تبصير المسلمين بأسباب الخلافات التي مزقتهم فيما سبق من الزمان ليجتنبوها بعد أن يتدارسوها فيما بينهم بعزم قوي وصدق نية.

---

[54] ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين إبراهيم الطباخ (المتوفى 1954م) الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1351هـ – 1932م، 89/3.

5. معرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة من أفكار وآراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام بعيدة عن طريقه الواضحة.
6. رصد تلك الحركات والأفكار التي يقوم بها أولئك الخارجون عن الخط السوي والصراط المستقيم؛ لتعرية دورهم الخطر في تفريق وحدة الأمة الإسلامية بتعريف الناس بأمرهم، وجلاء حقيقتهم للتحذير منهم، وبيان ما يقومون به من خدمة تلك الأفكار وترويجها.

ذلك أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم في وضوح تام؛ فلكل قوم وارث ، قال ولي الله الدهلوي : إذا قرأت القرآن فلا تحسب أن المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا ، بل الواقع أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم بطريق الأنموذج بحكم الحديث : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ρ، قَالَ: (لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ)، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: (فَمَنْ)[55].

7. حتى تبقى الفرقة الناجية علماً يهتدى به بعيدة عن تلك الشوائب الطارئة على العقيدة.
8. وصل حاضر هذه الأمة بماضيها، وبيان منشأ جذور الخلافات بينهم والتي أدت إلى تفرقهم فيما مضى من الزمان للتحذير منها، وللرد على أولئك الذين يحاولون دعوة المسلمين إلى قطع صلتهم بماضيهم، والبناء من جديد كما يزعمون.
9. ثم إن دراستنا للفرق وإن كان يبدو عليها أنها بمثابة جمع لتراث الماضين- فإنه يراد من وراء ذلك دعوة علماء المسلمين إلى القيام بدارسته

---

[55] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ρ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط/1، **1422هـ** ، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ρ: (لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) ، برقم(7320) ، 9/ 103، واللفظ له ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ρ ،(صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب الْعِلْمِ ، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، برقم(2669)، 2054/4 .

وفحصه واستخراج الحق من ذلك، واستبعاد كل ما من شأنه أن يخرج بالمسلمين عن عقيدتهم الصحيحة أو يفرق كلمتهم.
وهذا فيما أرى هو أنجح الطرق وأقربها إلى إشعار المخالفين بالإنصاف وطلب الحق للاستدلال على خلافهم وخروجهم عن الصواب من كتبهم ومن كلام علمائهم لقطع كل حجة مخالفة بعد ذلك.
والتأليف في شأن الفرق يحتاج إلى: إثبات ما نقل عن الفرقة إليها والتأكد من نسبته وأخذ ذلك من مصادره الموثوقة ثم فهمه على الوجه الصحيح مع لزوم الإنصاف والصدق والتجرد عن الهوى والعصبية

وتعرَّ منْ ثوبَيْنِ مَنْ يَلبَسْهُما ... يَلْقَ الرَّدَى بمذمَّةٍ وهَوَانِ
ثوبٌ من الجهْلِ المركَّبِ فَوْقَهُ ... ثَوبُ التعَصُّب بئْسَتِ الثَّوبَانِ
وتَحَلَّ بالإنْصَافِ أفْخرِ حُلَّةٍ ... زِينَتْ بهَا الأعطافُ والكَتِفَانِ
واجعَلْ شعارَكَ خشيةَ الرَّحمنِ مَعْ ... نُصْحِ الرَّسُولِ فحَبَّذَا الأمْرَانِ[56]

المطلب الثالث

أهمية دراسة الفرق الكلامية

بيّنا فيما مضى بعض الأهداف التي ندرس الفرق من أجلها، ونجيب هنا عن شبهة لكثير من الناس ربما يرددها بعضهم منخدعاً بحسن نية، والبعض الآخر يرددها بنية سيئة.
وهي: لماذا نشغل أنفسنا بدراسة فرق انتهت، وربما لم يعد لها ذكر على الألسنة... وقد رد العلماء عليها قديماً وحديثاً وانتهى الأمر؟
والجواب: إن هذا التساؤل قد انطوى على مغالطات خفية ونية سيئة، أو جهل شنيع، وذلك:
أولاً: إن هذه الفرق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق ولا بزمنهم، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر.
فإننا إذا نظرنا إلى فرقة من تلك الفرق الماضية نجد أن لها امتداداً يسري في الأمة سريان الدم في الجسم.
ان المغرضين والمندسين في الجسد الإسلامي يريدون الخروج عن النهج

---

56 الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي ، ناصر بن يحيى الجنيني ، عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل ، فهد بن علي المساعد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة،ط/1، 1428هـ ، 99/1 .

الإسلامي ولكنهم لم يجرءوا صراحة على ذلك، فوجدوا أن التستر وراء تلك الآراء التي قال بها من ينتسب إلى الإسلام خير وسيلة لتحقيق ذلك، فذهبوا إلى تمجيد تلك الأفكار لتحقيق أهدافهم البعيدة.

ثانياً: مما هو معلوم أن كل الأفكار والآراءالتي سبقت لها أتباع ينادون بتطبيقها، فالنزعة الخارجية وتنطع أهلها في الدين، واستحلال دماء المسلمين لأقل شبهة، وتكفيرهم الشخص بأدنى ذنب - قائمة الآن في كثير من المجتمعات الإسلامية على أشدها، موهمين الشباب ومن قلت معرفته بالدين أن الدين هو هذا المسلك فقط.

وعلى هذا، فدراستنا هذه وإن كانت في ظاهرها دراسة للماضي، ومراجعة للتاريخ الفرق كلامية الذين َجَنوا على ماضي المسلمين إلا أنها دراسة حاضرة كذلك من حيث إنها تكشف جذور البلاء الذي شتت قوى المسلمين وفرقهم شيعاً، وجعل بأسهم بينهم شديداً، بل هي نور يضيء لشبابنا طريقه وسط هذا الظلام الفكري المفتعل، الذي لا يخدم إلا أعداء الإسلام بتوجيه الأنظار إلى تلك الفرق التي تعمل في الظلام لنشر أفكارها، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام.

ثالثاً: إن د ارسة الفرق والدعوة إلى الاجتماع واتحاد كلمة المسلمين -فيه تكثير لعدد الفرقة الناجية بانضمام أولئك الخارجين عن الحق ووقوفهم إلى جانب إخوانهم أهل الفرقة الناجية؛ فيكثر عددهم فيصح فيهم ما أخبر به الرسول ρ من قيام فرقة من المسلمين عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)[57] ، وتَرُكنا لدراسة الفرق يفّوت علينا هذا الخير العظيم.

رابعاً: أضف إلى ذلك أن ترك الناس دون دعوة إلى التمسك بالدين الصحيح، ودون بيان أضرار الفرق المخالفة، فيه إبطال لما فرضه الشرع من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الفرق التي ظهرت، ما من فرقة منها إلا وقد قامت مبادئها على كثير من المنكرات، وهي تدعي أنها هي المحقة وما عداها على الضلال، فألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروقهم وخروجهم وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة في أثواب براقة لترويج بدعهم، والدعوة لها.

---

[57] صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ قَوْلِهِ ρ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ) ، برقم (1920) 3/ 1523.

خامساً: إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق، فيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد، وأن تدعو إلى كل ما تريد من بدع وخرافات دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد كما هو الواقع؛ فإن كثيراً من طلاب العلم- فضلاً عن عوام المسلمين- يجهلون أفكار فرق يموج بها العالم، وهي تعمل ليلاً ونهاراً لنشر باطلهم، ولعل هذه الغفلة من المسلمين عن التوجه لكشف هذه الفرق المارقة لعله من تخطيط أولئك المارقين الذين نجحوا في حجب الأنظار عنهم وعن مخططاتهم الإجرامية.

ولا أدل على ذلك من ان بعض الأفكار وبعض العبارات يرددها كثير من المسلمين دون أن يعرفوا أن مصدرها إما من الخوارج ، او الجهمية ، اوغيرها.

ومن المعلوم أن ذلك إنما يعود إلى الجهل بأفكار هذه الطوائف[58] .

المبحث الثاني

تعريف الافتراق لغة واصطلاحا، والفرق بين الافتراق والاختلاف

المطلب الأول
الافتراق لغةً

خلاف الجماعة والاجتماع والجمع، قال Y : چڤ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄڄ ڃ ڃ
ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑژ ک ک
ک ک گ گ گ چ[59] ، أي: أمر بلزوم الجماعة والائتلاف على الطاعة؛ لأنّ ضدّ التّفرّق واحد وهو الإجماع، والنهي عن الشيء الذي له ضدّ واحد أمر بضدّه بعد الاجتماع[60]، فالافتراق نقيض الاجتماع، والافتراق: الانقسام، والفرق: الفَلْق، والفلق من الشيء إذا انفلق منه، ومنه قوله تعالى: چ ٺ ٺ

---

58 ينظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ، محمد العبدة ، وطارق عبدالحكيم ، دار الفكر ، بيروت ،ط/1، 1998م، ص28، 36–38.

59 آل عمران: ١٠٣.

60 **دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، دار الفكر - عمان، الأردن، ط/1، 1430 هـ - 2009 م، 1/ 418.**

ٹ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ [61] ، والمفارقة: المباينة، وفارق الشيء مفارقة وفراقاً : باينه، والاسم الفرقة، وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضاً، والفرقة: الطائفة من الناس، والفريق أكثر منه، وفِرَق: جمع فرقة، والِفراق التفريق بين الشيئين والفصل بينهما، والتفرق والافتراق سواء، ومنهم من يجعل التفرق للأبدان، والافتراق في الكلام، يقال: فّرقت بين الكلامين فافترقا وفّرقت بين الرجلين فافترقا، والتفرق والتفرقة: التبديد والتمزيق، يقال:
فّرقه تفريقاً وتفرقه أي بدده.
وفي الجملة: أن الافتراق في اللغة يدور حول معاني: المفارقة، الانقطاع، التفرق، المفاصلة، الانفصال، الشذوذ، المباينة، الانقسام والتيه، والضياع، والضلال، المقاطعة، التشعب، الخروج عن الجادة وعن الأصل وعن الأكثر وعن الجماعة، التغيير[62] .

المطلب الثاني
الافتراق في الاصطلاح

يطلق على أمور منها:

1. التفرق في الدين والاختلاف فيه ومن ذلك قوله تعالى: چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ چ[63]، وقوله Y : چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ[64] .

ومن ذلك قولهρ:(إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ)[65].

---

61 الشعراء: ٦٣.

62 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى393:هـ)تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط/4، 1407ه ــ 1987م،4/ 1540معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين (المتوفى395 هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، 4/ 493، لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر ، بيروت،ط/3، 1414هـ، 10/ 299 .

63 آل عمران: ١٠٥.

64 الأنعام: ١٥٩.

2. الافتراق عن جماعة المسلمين وهم عموم أمة الإسلام في عهد الرسول ρ والصحابة ومن كان على هديهم بعد ظهور الافتراق فمن خالف سبيلهم في أمر يقتضي الخروج عن أصولهم في الاعتقاد أو الشذوذ عنهم في المناهج أو الخروج على أئمتهم أو استحلال السيف فيهم فهو مفارق، وفيه قوله ρ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ) [66]، فذكر ρ أصنافاً من المعارضين الخارجين: (المفارقون للجماعة،

الخارجون عن الطاعة، الخارجون عن الأمة بالسيف، ومنه قتال العصبية، والفتنة، والقوميات، والشعارات، والحزبيات ونحوها، المقاتلون تحت راية عمية وهو الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه) .

فالخروج عن أهل الحق ولو في أصل واحد من أصول الدين الاعتقادية أو العملية المتعلقة بالقطعيات، أو بمصالح الأمة العظمى أو بهما معاً فإنه يعتبر تفرقاً؛ فالضابط في الافتراق أنه يؤدي إلى الفتن، والتفرق، والقتال، والبغي، والبدع، وبذلك يتضح أن أهل الافتراق هم أهل الأهواء والبدع [67]

المطلب الثالث

الفرق بين الافتراق والاختلاف

---

[65] صحيح مسلم ، كتاب الْعِلْمِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ، برقم(2666) 4/ 2053..

[66] صحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر، برقم(1848) 3/ 1476.

[67] ينظر: الافتراق مفهومه - أسبابه - سبل الوقاية منه ، د.ناصربن عبدالكريم العقل، بحث منشور على موقع ملتقى أهل الحديث www.ahlalhdeeth.com ص 6، تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة ، دراسة نقدية في ضوء عقيدة السلف، د. عفاف بنت حسن بن محمد مختار ، مكتبة الرشد، السعودية ،1/ 46.

اولاً : تعريف الاختلاف في اللغة:

تدور مادة خلف في اللغة حول أصول ثلاثة:

1. أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه[68] ؛ قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ [69] بِمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْلُفُ مَكَانَ صَاحِبِهِ إِذَا ذَهَبَ اللَّيْلُ جَاءَ النَّهَارُ بَعْدَهُ، وَإِذَا ذَهَبَ النَّهَارُ جَاءَ اللَّيْلُ خَلْفَهُ)[70] ؛ وقال تعالى :چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ چ [71] ، أي: أمة تجيء بعد أمة وتقوم مقامها [72].

---

[68] معجم مقاييس اللغة، 2/210وما بعدها ، التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) عالم الكتب ،القاهرة، ط/1، 1410 هـ-1990م، ص322وما بعدها .

[69] الفرقان: ٦٢.

[70] تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،ط/1، **1422 هـ - 2001 م** ،10/3، بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي(المتوفى: 373هـ) تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر ، بيروت، 2/ 544، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 290/3.

[71] الأنعام: ١٦٥.

[72] ينظر: تفسير الطبري، **10/ 50**، الكشاف عن حقائق التنزيل ، الزمخشري ، 84/2، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط/1، 1422هـ،2/ 370.

2. عكس قدام ؛ قال تعالى: چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ[73]، ومنه التأخر لقصور المنزلة، كما في قوله تعالى: ٹ ٹ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ چ[74].

3. التغير؛ ومنه قوله ρ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ)[75] الخلوف هو: تغير الفم من أثر خلو المعدة من الطعام، فيتصاعد منها أبخرة تغير رائحة الفم[76].

والأصل الأول هو المقصود هنا، يقال: اختلف الناس في كذا أي: مختلفون لأن كل واحِد منهم ينحي قول صاحبه ويقيم نفسه مقام الذي نحاه[77].

ثانياً :الاختلاف في الاصلاح:

أُطلقت كلمة الاختلاف في اصطلاح التدوين على العلم الذي يبحث في

---

[73] البقرة: من الآية: ٢٥٥، وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)،تحقيق: محمد علي النجار،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ،561/2 .

[74] الأعراف:من الآية : 169 ،وينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرا زي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،ط/3، 1420 هـ، 210/5،تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل،) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ارجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت،ط/1، 1419ه – -1998 م، 615/1، 2/ 342.

[75] صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ ، بَابٌ: هَلْ يَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شُتِمَ، برقم (1904) 26/3، وفي لفظ مسلم، (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ، برقم(1151)2/ 807.

[76] **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة،ط/1، 1405 هـ، 2/ 353.**

[77] ينظر: تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة ،د. عفاف بنت حسن بن محمد مختار ،مكتبة الرشد ، الرياض،ط/1، 1421هـ –2000م،1/ .31.

الاختلافات الشرعية الفقهية خاصة؛ واشتهر عندهم بعلم الخلاف[78]
وُعِّرف بأنه : علم باحث عن وجوه الاستنباطات المختلفة من الأدلة الإجمالية أو التفصيلية الذاهب إلى كل منها طائفة من العلماء، ثم البحث عنها بحسب الإبرام والنقض[79]، وُعِّرف أيضاً بأنه:
علم يعرف من كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبهة وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية[80].
ومن التعاريف: هو منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق جواز إبطال باطل[81].
وعَّرفه الراغب بقوله: والاختلافُ والمخالفة: أن يأخذ كلّ واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله[82] .
فالتعريف في الاصطلاح لم يخرج عن المعنى اللغوي ولكنه جاء خاصاً بالمقاصد الشرعية والفقهية على الخصوص فالاختلاف يكون في الفقه، والافتراق في العقيدة[83] ولذا يجب ذكر بعض الفروق بين الاختلاف والافتراق ومنها[84] :

---

[78] ينظر:ديوان المبتدأ والخبر ، ابن خلدون، ،ص421وما بعدها.
[79] ينظر: **أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، دار ابن حزم،ط/1، 1423 هـ 2002 م، ص 394.**
[80] ينظر: الكليات ، الكفوي،ص710ومابعدها.
[81] ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص 158.
[82] **المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط/1، 1412 هـ، ص 294.**

[83] ينظر: الافتراق مفهومه - أسبابه - سبل الوقاية منه ، د.ناصربن عبدالكريم العقل، ص 8 وما بعدها، تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة ، د. عفاف بنت حسن بن محمد مختار، 1/ 34.
[84] ينظر: الافتراق ، د. العقل، ص 11 وما بعدها، تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة ، د. عفاف بنت حسن بن محمد مختار، 1/ 36.

1. إن الافتراق أشد أنواع الاختلاف بل هو من ثمار الخلاف إذ قد يصل الخلاف إلى حد الافتراق وقد لا يصل، فالافتراق اختلاف وزيادة لكن ليس كل اختلاف افتراق.
2. إن الافتراق غالبا يكون بعد العلم بالبينات كما قال تعالى :ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ[85] .، وقوله Y : ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ[86].
3. إن الاختلاف لا يوصل صاحبه إلى التهلكة اذا لم يؤدي الى الفرقة والافتراق الذي يوصل صاحبه إلى الهلاك ومن يتبعه وكما قال رسول اللهρ : (وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا)[87] .
4. إن الاختلاف قد يكون عن اجتهاد وعن حسن نية وقد يؤجر المخطئ، بينما الافتراق لا يكون عن حسن نية، وصاحبه لا يؤجر بل هو مذموم وآثم على كل حال. لقول الرسول ρ: (إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ)[88] .
5. إن من الاختلاف ما لا يصل إلى حد الافتراق ولا التنازع في الدين، يقول الشاطبي:(وَوَجَدْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ρ مِنْ بَعْدِهِ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي أَحْكَامِ الدِّينِ وَلَمْ يَتَفَرَّقُوا، وَلَا صَارُوا شِيَعًا لِأَنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُوا الدِّينَ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِيمَا أُذِنَ لَهُمْ مِنِ اجْتِهَادِ الرَّأْيِ، وَالِاسْتِنْبَاطِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِيمَا لَمْ يَجِدُوا فِيهِ نَصًّا، وَاخْتَلَفَتْ فِي ذَلِكَ أَقْوَالُهُمْ فَصَارُوا

---

85 آل عمران: ١٩ .

86 آل عمران: ١٠٥.

87 **صحيح البخاري**، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ ،**برقم(3476) 4/ 175**، من حديث رواه ابْنِ مَسْعُودٍ τ،

88 **صحيح البخاري**، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ،**برقم (7352) 9/ 108**، **صحيح مسلم** ، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ بَيَانِ أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ، أَوْ أَخْطَأَ، **برقم(1716) 3/ 1342.**

مَحْمُودِينَ لِأَنَّهُمُ اجْتَهَدُوا فِيمَا أُمِرُوا بِهِ) [89]. أما الافتراق فيؤدي إلى التنازع والقتال والتكفير ومن ثم دخول النار، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ρ: (افترقَتِ اليهودُ على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفرَّقت النَّصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتَفتَرِقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقةً)[90] .

6. إن كل افتراق اختلاف، وليس كل اختلاف افتراق، فكثير من المسائل التي يتنازع فيها المسلمون هي من المسائل الخلافية، ولا يجوز الحكم على المخالف بالكفر ولا المفارقة ولا الخروج من السنة.
7. الافتراق مذموم كله والاختلاف ليس كله مذموماً.
8. الاختلاف يعذر صاحبه إذا كان مجتهداً والافتراق لا يعذر صاحبه، لأنه لا يكون إلا عن اتباع هوى أو ابتداع أو تقليدٍ مذموم.
9. الافتراق إنما يكون في الأصول الاعتقادية والقطعيات التي لا يسع الخلاف فيها والتي تثبت بنص قاطع، أو بإجماع، أما الاختلاف يكون فيما دون الأصول مما يقبل التعدد والرأي.

---

[89] **الاعتصام ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط/1، 1412هـ - 1992م، 2/ 734.**

[90] **مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط/1، 1416 هـ - 1995 م، برقم(8377) 8/ 301، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط/1، 1430 هـ - 2009 م،** كتاب السنة، ، باب شرح السُّنَّة، **برقم**(4596) 7/ 5، **السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/3، 1424 هـ - 2003 م،** كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ: مَا تُرَدُّ بِهِ شَهَادَةُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، **برقم(20901) 10/ 351.**

10. إن الافتراق يتعلق به الوعيد وكله شذوذ، أما الاختلاف فليس كذلك.
11. الافتراق يكون دائماً عن هوى أو بدعة أما الاختلاف فلا يلزم منه ذلك.
12. الاختلاف قد يكون رحمةً وأهله ناجون إن شاء الله تعالى، والفرقة عذاب وأهلها متوعدون.
13. إن مسائل الاختلاف قد تكون من الأمور المأذون فيها بالاجتهاد، أما مسائل الافتراق فهي في الأمور التي حذر الشارع من الاقتراب منها.
14. إن أهل الافتراق غالباً يعتمدون على المتشابه من الأدلة كما قال تعالى: چ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ چ[91] أما أهل الاختلاف فعادةً يكون بسبب عدم فهم الدليل أو غير ذلك.

إن أهل السنة النبوية لا يذمون من اختلف وقصده الاجتهاد وكان معروفاً بالذكر الجميل والثناء الحسن مع العمل الصالح ونصرة السنة والذب عنها أما المفترق الذي قضى عمره في الصد عن سبيل الله ومحاربة السنة ونشر البدعة فيذمونه ويبدعونه[92] .

---

91 آل عمران:من الآية: ٧ .

92 ينظر : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)تحقيق: أحمد محمد شاكر، وكالة الطباعة والترجمة،في الرئاسة العامة لإدارات البحوث،العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ،ص 322وما بعدها، الافتراق مفهومه – أسبابه سبل الوقاية منه ، د.ناصربن عبدالكريم العقل ، ص 12، تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة ، عفاف بنت حسن بن محمد مختار، 1/ 43 .

الفصل الثاني

النصوص التي جمعت بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة من الكتاب والسنة وأسباب الاجتماع وبيان طرق تأليف قلوب المسلمين والأمر بلزوم الجماعة والتحذير من الفرقة وبيان حال أهل الفرقة والاختلاف

المبحث الاول

النصوص التي جمعت بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة من الكتاب والسنة

لقد وردت نصوص عدة في الكتاب والسنة تأمر بالجماعة وتثني بالنهي عن الفرقة في موضع واحد مع أن الأمر بالجماعة يستلزم النهي عن الفرقة، والنهي عن الفرقة يستلزم الأمربالجماعة ولو لم يذكر ذلك فكل من أمر بشيء فقد نهى عن فعل ضده، ومن نهى عن فعل فقد أمر بفعل ضده[93]

المطلب الأول

النصوص التي جمعت بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة من الكتاب

مما يؤكد وجوب الأمر بالجماعة وترك الفرقة والنهي عنها، ومن هذه النصوص في الكتاب العزيز:

قول الله تعالى : چ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ
ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑڑ ک ک ک ک گ

[93] ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط/3، 1423هـ-2002م، 1/ 147 وما بعدها.

گ گ چ [94] ، ففي هذه الآية أمرنا الله Y بالجماعة ونهانا عن التفرقة[95]، يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :چ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ چ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ: وَتَعَلَّقُوا بِأَسْبَابِ اللَّهِ جَمِيعًا. يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَتَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَعَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ عَلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ)[96] .

وذكر المفسرون في المراد بحبل الله ستة أقوال : فقيل إن المراد بحبل الله : كتاب الله : القرآن ، الثاني : إنه الجماعة ، الثالث : إنه دين الله وهو الإسلام ، الرابع: عهد الله، الخامس : إنه الإخلاص ، السادس : إنه أمر الله وطاعته ، وهذا اختلاف في المراد بالحبل في الآية هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد إذ المعنى كله متقارب متداخل[97]

ويقول الإمام القرطبي في معنى الآية : فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ بِالْأُلْفَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْفُرْقَةِ فَإِنَّ الْفُرْقَةَ هَلَكَةٌ وَالْجَمَاعَةَ نَجَاةٌ[98].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِسِمَاكٍ الْحَنَفِيِّ:(يَا حَنَفِيُّ، الْجَمَاعَةَ الْجَمَاعَةَ!! فَإِنَّمَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ الْخَالِيَةُ لِتَفَرُّقِهَا، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ Y يَقُولُ: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ چ ، فَأَوْجَبَ تَعَالَى عَلَيْنَا التَّمَسُّكَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِمَا عِنْدَ الِاخْتِلَافِ، وَأَمَرَنَا بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا، وَذَلِكَ سَبَبُ

---

94 آل عمران: ١٠٣.

95 ينظر : تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط/2، 1420هـ1999 - م،367/1، فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت،ط/1، 1414هـ، 1/ 421.

96 **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 5/ 643.**

97 ينظر : زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي ، بيروت،ط/1، 1422هـ، 1/ 310 وما بعدها ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ)تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط/2، 1384هـ - 1964 م،4/ 156وما بعدها.

98 الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي،4/ 159.

اتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَانْتِظَامِ الشَّتَاتِ الَّذِي يَتِمُّ بِهِ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَالسَّلَامَةُ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَأَمَرَ بِالِاجْتِمَاعِ وَنَهَى عَنِ الِافْتِرَاقِ الَّذِي حَصَلَ لِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ)[99] وهذا الأمر بالجماعة عام للأمة في كل زمان وكل مكان هذا حالهم أن يكونوا مجتمعين بحبل الله، فالله سبحانه وتعالى أمرهم بأن يعتصموا بحبل الله جميعا، وجميعا: منصوب على الحال أي: كونوا مجتمعين على الاعتصام بحبل اللهY [100]

وفي هذه الآية وبعد أن أمرهم سبحانه بالجماعة والتمسك بها إذ به منعتهم وأمنهم، نهاهم عن الفرقة فقال ولا تفرقوا أي : لا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ρ والانتهاء إلى أمره[101].

ومعنى نهيه تعالى عن الفرقة في قوله :ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﭼ (يَعْنِي فِي دِينِكُمْ) كَمَا افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي أَدْيَانِهِمْ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ وَلَا تَفَرَّقُوا مُتَابِعِينَ لِلْهَوَى وَالْأَغْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَكُونُوا فِي دِينِ اللَّهِ إِخْوَانًا، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَنْعًا لَهُمْ عَنِ التَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ[102] .

ومما ورد في الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة في موضع واحد قوله تعالى : ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[103] .

يقول عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ وقولهY : ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﭼ[104] ، ونحو هذا في القرآن أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الِاخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى)[105] ، يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية

---

[99] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي،4/ 164.

[100] ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي ،1/ 311.

[101] ينظر : تفسير القرطبي، 4/ 159.

[102] **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 4/ 159.**

[103] الأنعام: ١٥٣.

[104] الشورى: من الآية: 13.

[105] ينظر: تفسير الطبري، 5/ 663، الشريعة للآجري ،1/ 271 ، الإبانة الكبرى لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان الْعُكْبَري المعروف

: (يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَهَذَا الَّذِي وَصَّاكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ .... وَأَمَرَكُمْ بِالْوَفَاءِ بِهِ، هُوَ صِرَاطُهُ، يَعْنِي طَرِيقَهُ وَدِينَهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ. مُسْتَقِيمًا [النساء: 68] يَعْنِي: قَوِيمًا لَا اعْوِجَاجَ بِهِ عَنِ الْحَقِّ. {فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام: 153] يَقُولُ: فَاعْمَلُوا بِهِ، وَاجْعَلُوهُ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْهَاجًا تَسْلُكُونَهُ فَاتَّبِعُوهُ. {وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} [الأنعام: 153] يَقُولُ: وَلَا تَسْلُكُوا طَرِيقًا سِوَاهُ، وَلَا تَرْكَبُوا مَنْهَجًا غَيْرَهُ، وَلَا تَبْغُوا دِينًا خِلَافَهُ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمَجُوسِيَّةِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمِلَلِ، فَإِنَّهَا بِدَعٌ وَضَلَالَاتٌ. {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: 153] يَقُولُ: فَيُشَتِّتُ بِكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ السُّبُلَ الْمُحْدَثَةَ الَّتِي لَيْسَتْ لِلَّهِ بِسُبُلٍ وَلَا طُرُقٍ وَلَا أَدْيَانٍ، اتِّبَاعَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، يَعْنِي: عَنْ طَرِيقِهِ وَدِينِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لَكُمْ وَارْتَضَاهُ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي وَصَّى بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَأَمَرَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ. {ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ} [الأنعام: 151] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَذَا الَّذِي وَصَّاكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنْ قَوْلِهِ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ يَقُولُ: لِتَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ فَلَا تُهْلِكُوهَا)[106]

حقاً إن الجماعة والائتلاف لا تتحقق إلا بوحدة المعتقد ووحدة المنهج والسلوك عندها يتحقق للأمة الاجتماع على الحق والسير على الصراط المستقيم الذي وصاهم ربهم به ،والفرقة تقع في الأمة حينما تتعدد المناهج وتتعدد الطرق لذلك بين الله Y لهم أن طريق الحق واحد وأن السبيل إلى الاجتماع واحد وهو السير على الصراط المستقيم أما إن أبو ذلك فإن السبل ستتخطفهم ويتشعبوا في الضلالات والبدع وواقع الأمة الآن شاهد على ذلك.

ويقول الإمام ابن كثير: قوله تعالى :چ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ إنما وحد سبيله لأن الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها) [107] ، وهذه السبل بين معناها عبدالله بن عباس ترجمان القرآن رضي الله عنهما فقال : (لَا تَتَّبِعُوا الضَّلَالَاتِ)[108].

بابن بَطة العكبري (المتوفى: 387هـ)تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، **ط/2، 1415 هـ - 1994 م** ، 1/ 275.

[106] **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 9/ 669.**

[107] **تفسير القرآن العظيم، 3/ 367.**

[108] **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 9/ 670 ،تفسير القرآن العظيم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى:327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار**

المطلب الثاني
النصوص التي جمعت بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة من والسنة

ويجب أن يعلم المؤمن أن الاجتماع على الحق والبعد عن الفرقة مما أمرنا الله به ورضيه لنا ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ) [109].

فالله سبحانه حثنا على الاجتماع وأمرنا بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض وهذه إحدى قواعد الإسلام[110] ، ولكن لا يكون الاجتماع لمجرد الاجتماع، فالأمر بالاجتماع ليس اجتماع على أي شيء أو اجتماع على لا شيء، بل اجتماع على الدين اجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله الاجتماع على طاعة اللهY وطاعة رسوله ρ والعمل بنصوص الشريعة كلها.

وفي هذا رد على كل مدع مطالب باجتماع الأمة لمجرد الاجتماع والسكوت عن باطل المخالف من أهل الأهواء وترك الإنكار عليه في بدعته حتى لا يتعكر صفو هذا الاجتماع أو التقارب المزعوم، يبين الإمام القرطبي الأساس الذي ينبغي أن يكون عليه الاجتماع وبه تتحقق وحدة الصف فيقول: (فَأَوْجَبَ تَعَالَى عَلَيْنَا التَّمَسُّكَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِمَا عِنْدَ الِاخْتِلَافِ، وَأَمَرَنَا بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى الِاعْتِصَامِ

مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية، ط/3، 1419 ه ،-5/ 1422، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي،2/ 93.

[109] سبق تخريجه.

[110] ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،ط/1392،2هـ ، 12/ 11.

بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا، وَذَلِكَ سَبَبُ اتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَانْتِظَامِ الشَّتَاتِ الَّذِي يَتِمُّ بِهِ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَالسَّلَامَةُ مِنَ الِاخْتِلَافِ)[111]

ويسبق الإمام محمد بن إدريس الشافعي ،القرطبي في هذا المعنى ويبين أن اجتماع الأبدان ليس بمعتبر ولا مقصود بل المقصود والمعتبر الاجتماع على طاعة الله ورسوله الاجتماع على الحق فيقول بعد أن بين أن الأمر بلزوم جماعة المسلمين ليس له إلا معنى واحد ذلك أنه : إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين

والكافرين ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئا فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ماعليهم جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها[112] .

وفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ) [113].

وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ρخَطًّا، ثُمَّ قَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللهِ)، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: (هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَرَأَ: چ چ چ چ چ چ چ چ ڈ ڈ ژ ژ چ[114] ، [115] ، ويفسر عبدالله بن مسعود

---

111 **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي،**

112 ينظر: الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)تحقيق: أحمد شاكر: مكتبه الحلبي، مصر،ط/1، **1358هـ/1940م**، ص 473.

113 صحيح مسلم ، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، برقم(1715) 3/ 1340.

114 الأنعام: من الآية:153.

115 رواه الامام أحمد في مسنده ، **برقم(4142)7/ 207 وما بعدها**، الدارمي (مسند الدارمي) المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل

τهذا الحديث وذلك أن رجلا قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال تركنا محمد ρ في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثّم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود : چ چ چ چ چ چ چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ[116]، [117] ، وفي حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ρ قَالَ: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ

بن َبه ارم بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ)تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية ،السعودية، ط/1، 1412هـ ـــ2000 م ، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ أَخْذِ الرَّأْيِ ، برقم(208) 1/ 285 ، النسائي في **السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/1، 1421 هـ - 2001 م**، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ(قَوْلُهُ تَعَالَى: چ چ چ چ چ چ (الأنعام:من الآية: 153) **برقم(11109) 10/ 95، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الدارمي، (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط/1، 1408 هـ - 1988 م** ، بَابُ الِاعْتِصَامِ بِالسُّنَّةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا نَقْلًا وأمرا وزجرا، **برقم (6)1/ 180،**
المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن ُنعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط/1، **1411 - 1990** ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ ، برقم (3241)2/ 348 ،وقال : (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ) ، وحسنه ابن حجر في هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق: علي حسن عبد الحميد الحلبي الأثري دار ابن القيم - دار ابن عفان ، 1422 – 2001، 131/1، - وقال الالباني في شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي(المتوفى 321هـ) ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، المكتب الإسلامي ، بيروت،ط/2، 1414هـ ، ص 587 ، صحيح.

[116] الأنعام: ١٥٣.

[117] **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 9/ 671.**

جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ)[118]

لقد أمرنا الله Y بسلوك هذا الصراط المستقيم والدخول فيه والاجتماع عليه إذ لا يحيد عنه إلا مفارق لهؤلاء المجتمعين عليه من المسلمين ولا شيء يجمع المسلمين بحق غير الإسلام الانقياد للإسلام والعمل بشرائعه كلها وتطبيق أحكامه على مناحي الحياة وعلى الأفراد سواسية... فدين الإسلام لا يقبل التجزئة وما حلت النكبات بالأمة وابتلوا وعذبوا بالفرقة إلا لما شابهوا أهل الكتاب في الإيمان ببعض الكتاب وترك البعض[119] .

وورد عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فِي خُطْبَتِهِ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُمَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ وَالطَّاعَةِ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَسْتَحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ) [120] .

المبحث الثاني

أسباب الاجتماع وبيان طرق تأليف قلوب المسلمين، التأكيد على أسباب الاجتماع الأمر بلزومها ا والتحذير من الفرقة

---

[118] رواه الإمام أحمد بن حنبل، في مسنده ، برقم(17634) 29/ 181 ، والحاكم في المستدرك ، برقم(245) 144/1،وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ،وقال ابن كثير في تفسيره 1/ 138 ، وقال الالباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، المكتب الإسلامي ، برقم (3888) 2/ 722 ، (صحيح).

[119] ينظر: موقف الصحابة من الفرقة والفرق، د.أسماء بنت سليمان بن عبدالرحمن ، دار الفضيلة ، الرياض ، ط/1، 1426هـ ، ص 12–121- .

[120] **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن،5/ 648، الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن ـ الرياض / السعودية،ط/2، 1420 هـ - 1999 م،1/ 298.**

المطلب الأول

أسباب الاجتماع وبيان طرق تأليف قلوب المسلمين

تقدم أن النصوص سلكت مسلك الجمع بين ذكر الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة في موضع واحد لتغليظ الأمر في ذلك.

وكذلك سلكت النصوص مسلكا آخر حينما أمرت بالجماعة في نصوص ونهت عن الفرقة في نصوص أخرى، وقد سبق أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده والنهي عن شيء يستلزم الأمر بضده.

ومن النصوص التي تحث على الجماعة وترغب بلزومها وتبين أجر من لزم ولم يفارق، وتؤكد أن العصمة في وقت الفتن والمحن هو في التمسك بجماعة المسلمين فهي المخرج والمنجي بإذن الله منها فقد ورد عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ ρ فِينَا فَقَالَ: (أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ، أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ)[121] ويدل هذا ان في

---

[121] مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم(176) 310/1وما بعدها، **الجامع الكبير - سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)،تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998 م**، أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ ، برقم (2165)4/ 35، وقال :هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ ، والنسائي في السنن الكبرى، َباب ذِكْرُ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِخَبَرِ عُمَرَ فِيهِ ، برقم(9175) 284/8 ، والحاكم في**المستدرك** ، برقم (387) 197/1 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقال ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 593/1:لم يرجه أحد ممن أشترط الصحيح ولكننا نتكلم فيه على علاته ، وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ، أبو بكر بن العربي المالكي (المتوفى 542هـ) تحقيق : جمال مرعشلي ،دار الكتب العلمية، بيروت ، 1418هـ - 1997م،26/5، حسن صحيح ، وقال ابن كثير في إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)

لزوم الجماعة اجر عظيم بل إن الخير كل الخير فيها ،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ[122].

فيد الله مع الجماعة ويد الله على الجماعة ينصرهم ويؤيدهم ويسددهم وهو معهم معية خاصة: معية النصر والتأييد متى ما كانوا مجتمعين على الحق مجتمعين على طاعة الله وطاعة رسولهρ.

ومما يبين فضل لزوم الجماعة ما رواهُ ع مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ρبِالْخَيْفِ مِنْ مِنى، فَقَالَ: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي

تحقيق: بهجة يوسف حمد أبو الطيب، مؤسسة الرسالة، 401/2، له طرق أخر وهو حديث مشهور جداً.

[122] سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ ، برقم(2166) 4/ 36 ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، ، السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ)، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط/1 ، 1400ه بَابُ مَا ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ ρ مِنْ أَمْرِهِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَإِخْبَارِهِ أَنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ ، برقم(80) 1/ 39،بلفظ(عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى الضَّلَالَةِ أَبَدًا، وَيَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ هَكَذَا، فَعَلَيْكُمْ بِسَوَادِ الْأَعْظَمِ، فَإِنَّهُ مَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ) ، وعند الطحاوي بلفظ: (عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ ضُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ρعَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: " إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ , أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ρ كَائِنًا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الْجَمَاعَةِ , وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْتَكِضُ، شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1415هـ، 1994م، ،بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ مِنْ قَوْلِهِ: (تَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ) برقم (2327)6/ 102، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، برقم(4577) ، 438/10 ونصه : (عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ρيَقُولُ: "سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةِ، أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ρ وَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ، فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ من فارق الجماعة يرتكض)، وورد الحديث في المستدرك على الصحيحين بلفظ :(عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: (لَا يَجْمَعُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى الضَّلَالَةِ أَبَدًا) وَقَالَ: (يَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ فَاتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّهُ مَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ) برقم (**392**)199/1.

فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلَاةِ الْمُسْلِمِينَ وجَمَاعَتِهِمْ ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ)[123].

وقولهρ: (ثلاث لا يغل عليهن) يروى :يغل" بفتح الياء وكسر الغين من الغل: الحقد والضغن، تقول: لا يدخله شيء من الحقد يزيله عن الحق ويروى بضم الياء وكسر الغين من الأغلال: وهو الخيانة في كل شيء، ومنه الغلول في الغنيمة.

وقولهρ: (عليهن) في موضع نصب على الحال، أي: لا يغل كائنًا عليهن قلب مسلم، وإنما انتصب على النكرة لتقدمه، والمعنى: أن هذه الخلال المذكورة في الحديث من الإخلاص، والنصيحة، واللزوم يستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الدغل والفساد[124].

لقد جعل رسول الله ρهذه الأمور الثلاثة متوالية فلا بد من إخلاص العمل لله Yيبتغي وجه ربه تعالى وهذا يدفعه لأن يلتزم أمر الله Yوأمر رسوله ρ

---

123 **سنن ابن ماجه ، ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله،**
دار الرسالة العالمية، ط/1، 1430 هـ - 2009 م، أَبْوَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ الْخُطْبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ،
برقم(3056) 4/ 244، مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم(13349) 21/ 60، (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) .

124 الشَّافِي فيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأثِيرْ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: أحمد بن سليمان - أبي تميم يَاسر بن إبراهيم، مَكتَبَةَ الرُّشْدِ، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط/1، 1426 هـ - 2005 م،5/ 557وما بعدها، المفاتيح في شرح المصابيح ، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: 727 هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، ط/1، 1433 هـ - 2012 م، 1/ 324، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ، عبد الحق بن سيف الدين بن سعد اللَّه البخاري الدِّهلوي الحنفي (المتوفى :1052 هـ) ، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط/1، 1435 هـ - 2014 م، 1/ 566.

فيناصح ولاة الأمر.
عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ρ، قَالَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[125]
فجعل قاعدة الدين وما يمثله (النصيحة) والنصيحة وتشجيعهم على الحق إن سلكوه وطاعتهم على ذلك وهذا في حق القادرين عليه. وكذلك تكون النصيحة لهم بلزوم جماعتهم وهذا في حق كل أحد[126] ، ولا تعني مناصحة ولاة الأمر الخروج عليهم بالسيف وقتالهم، فهذا منهي عنه لما يؤدي إليه من الفرقة والفتنة ففي الحديث الذي رواه عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ قَالَ: (خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ[127] عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ يُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ)، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: (لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ)[128]
ولذلك عقب في حديث (... ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلَاةِ الْمُسْلِمِينَ وجَمَاعَتِهِمْ)، عقب بعد المناصحة لولاة الأمر بالأمر الثالث وهو لزوم جماعتهم.
ولقد أمر الله Ψنبيه ρ وأمته تبع له بلزوم الجماعة ففي الحديث عن رسول اللهρ: (إِنَّ اللهَ Yأَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ

---

[125] صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، برقم (55)1/ 74.
[126] ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،النووي، باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ 2/ 37، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط/2، 1424هـ - 2004 م، 222/1، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت،1379هـ ، 1/ 138.
[127] مَعْنَى يُصَلُّونَ أَيْ يَدْعُونَ، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، باب خيار الأئمة وشرارهم 12/ 245.
[128] صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ خِيَارِ الْأَئِمَّةِ وَشِرَارِهِمْ، برقم (1855) 3/ 1481.

بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي. قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ Y أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ. أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ، وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللهَ Y خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ Y يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا. وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ. وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ Y كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ Y قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: (وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى ؟ قَالَ: (وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ Y الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ Y)[129]

---

[129] مسند الإمام أحمد بن حنبل ، برقم (17170) 28/ 404ـ 406،(واللفظ له) ، سنن الترمذي ،أَبْوَابُ الأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ ، برقم (2863) 4/ 445 وما بعدها ،عن الحارث الأشعري، وقال الترمذي :هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: الحَارِثُ الأَشْعَرِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَلَهُ غَيْرُ هَذَا الحَدِيثِ، **المستدرك على الصحيحين، برقم (1534)1/ 582وما بعدها، وقال :** هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وحسنه ابن كثير في (تفسير القرآن العظيم) ، 1/ 196وما بعدها، وابن حجر في: (هداية الرواة إلى تخريج

فبهذه الكلمات الخمس التي أمرنا بها يلتئم شمل الجماعة ويستصلح المجتمع ويؤكد الحبيب المصطفى ρأن النجاة والعصمة من وقوع الفتن يكون بلزوم الجماعة أما إذا انعدمت الجماعة إمامها في وقت الفتنة فلا خير في الفرق والسبل المتشعبة فتعتزل كلها ولا يلتزم بشيء منها لأن الجماعة غير موجودة.

فعن حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ρعَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: (نَعَمْ) قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: (نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ[130]) قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: (قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ) قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: (نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: (هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا) قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ (فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)[131] .

ولقد بوب النووي لهذا الحديث وغيره (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة)

أحاديث المصابيح والمشكاة) 3/ 464.

[130] دَخَنٌ بِالْمُهْمَلَةِ ثُمَّ الْمُعْجَمَةِ الْمَفْتُوحَتَيْنِ بَعْدَهَا نُونٌ وَهُوَ الْحِقْدُ وَقِيلَ الدَّغَلُ وَقِيلَ فَسَادٌ فِي الْقَلْبِ وَمَعْنَى الثَّلَاثَةِ مُتَقَارِبٌ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْخَيْرَ الَّذِي يَجِيءُ بَعْدَ الشَّرِّ لَا يَكُونُ خَيْرًا خَالِصًا بَلْ فِيهِ كَدَرٌ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالدَّخَنِ الدُّخَانُ وَيُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى كَدَرِ الْحَالِ وَقِيلَ الدَّخَنُ كُلُّ أَمْرٍ مَكْرُوهٍ ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري،ابن حجر العسقلاني ، 13/ 36.**

[131] **صحيح البخاري** ، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، **برقم (3606)199/4،**وكِتَابُ الفِتَنِ، بَابٌ: كَيْفَ الأَمْرُ إِذَا لَمْ تَكُنْ جَمَاعَةٌ **برقم(7084)51/9، ومسلم** ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر ،**برقم(1847) 1475/3**

[132] ، ويقول ابن بطال عن هذا الحديث : (وفيه حجة لجماعة الفقهاء فى وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك القيام على أئمة الجور) [133].

ومما تقدم تتبين أهمية لزوم الجماعة ومدى الحاجة إليها فهي من قواعد الدين، والخطر والشر في الفرقة لذا جاء النهي عن الفرقة والتحذير منها في أكثر من موضع: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ τ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ρ يَقْرَأُ خِلاَفَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ρ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: (كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُو)[134] .

يقول الإمام أحمد بن حجر العسقلاني: (وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الْحَضُّ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَالْأُلْفَةِ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ)[135].

ولقد كره رسول الله ρاختلافهم لأن كلا القراءتين صحيحة حيث قال: (كلاكما محسن) فهو مصيب إذ قرأ ما أقرأه رسول الله ρونهاهما عن ذلك فقال: (ولا تختلفوا) وعلل سبب النهي بقوله: (فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) فلما كان الاختلاف يؤدي إلى الفرقة المؤدية إلى الهلكة كرهه عليه الصلاة والسلام ونهى عنه.

بل ونهى عن كل سبب يؤدي إليه: ففي الحديث عن رسول الله ρقال: (اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)[136]

وقولهρ : (ما ائتلفت عليه قلوبكم) أي : اجتمعت، فاقرؤوه وأنتم مجتمعون عليه متآلفة قلوبكم متحدة، أما إن وقع الاختلاف وهو قولهρ: (فإذا اختلفتم أي: في فهم معانيه عندما تخشى عليكم الفرقة ووقوع النزاع بينكم فالواجب القيام

---

[132] **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،النووي، 13/ 236.**

[133] **شرح صحيح البخارى ، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط/2، 1423هـ - 2003م، 10/ 33.**

[134] **صحيح البخاري**، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ ،**برقم(3476) 4/ 175.**

[135] **فتح الباري شرح صحيح البخاري، 102/9وما بعدها.**

[136] **صحيح البخاري (واللفظ له)** كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، **برقم (5060) 6/ 198**(عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ τ)، ورواه مسلم بلفظ (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا) كتاب الْعِلْمِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ برقم (2667) 4/ 2053.

عنه لذلك قالρ(فقوموا عنه) أي تفرقوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر[137] ولقد كان رسول الله ρيغضب ويشتد غضبه عند اختلاف أصحابه في أمر من أمور الدين خشية ما يؤدي إليه من فرقة وهلكة ففي الحديث عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، قَالَ: هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ρيَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ρ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: (إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ)[138] .

ولقد كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم من أشد الناس تحذيرا من الفرقة ونهيا عنها وبيانا لأضرارها يقول عمر بن الخطاب τناصحا ومرشدا لرعيته: (إياكم والفرقة بعدي)[139].

المطلب الثاني

التأكيد على أسباب الاجتماع والأمر بلزومها والتحذير من الفرقة

لقد سلكت النصوص الواردة في النهي عن الفرقة هذا المسلك للتأكيد على النهي عن الفرقة والأمر بلزوم الجماعة إذ الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة أصل من أصول الإسلام العظيمة وقاعدة من قواعد الدين ،وأن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين[140]

ويلاحظ ان هذا الأصل قد تجلى بوضوح في أركان الإسلام الخمسة:

الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله ρ :

فعقيدة التوحيد هي أعظم ما يجمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إذ هذه الكلمة ينطقها كل مسلم عربي أو غير عربي.

وبوحدة المعتقد تتحقق وحدة الجماعة ومتى ما كان المعتقد خالصا صافيا صائبا كانت الجماعة مجتمعة ملتئمة أما إن دب الخلاف في العقيدة تلاه

---

137 **فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني،9/ 101وما بعدها.**

138 **صحيح مسلم** ، كتاب الْعِلْمِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ، **برقم(2666) 4/ 2053.**

139 **البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط/1، 1408، هـ - 1988 م،8/ 136.**

140 **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،النووي،2/ 36.**

اختلاف في الجماعة وتفرق.
ثم إن وحدة المعتقد ووحدة الجماعة مما رضيه الله لنا ففي الحديث عن رسول ρ قال: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ) [141]، فقرن هنا بين وحدة المعتقد على توحيد الله ووحدة الجماعة على الاعتصام بحبل الله.
الركن الثاني: الصلوات الخمس المفروضة:
فهي أنموذج أمثل للوحدة بين المسلمين في اتحادهم في عددها وأركانها وشروطها وكيفيتها مما يجمع المسلمين ومما يجتمعون عليه بالصلاة يعرف المسلم من الكافر إذ هي عمود الدين، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: (العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)[142] ،ثم إن في أداء الصلاة جماعة في المسجد مثال واضح لكيفية تأليف القلوب واتحاد الجماعة باتحاد الأبدان في أداء فعل واحد في مكان واحد خلف إمام واحد، لذلك جاء الأمر بتسوية صفوف الصلاة وإتمامها الأول فالأول، والإشارة إلى أن اختلاف الصف في الصلاة سبب لاختلاف القلوب وتنافر النفوس ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ρيَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: (اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ

---

[141] صحيح مسلم ، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، برقم(1715) 3/ 1340.

[142] مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم(22937) 38/ 20، سنن ابن ماجه ، أَبْوَابُ إِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ ، برقم (1078) 2/ 181، سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ، برقم(2621) 4/ 310، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، السنن الكبرى، النسائي ،،كِتَابُ الصَّلَاةِ، الْحُكْمُ فِي تَارِكِ الصَّلَاةِ وَذِكْرُ الِاخْتِلَافِ فِي ذَلِكَ، برقم(326)1/ 208، السنن الكبرى ، البيهقي ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَكْفِيرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ عَمْدًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ برقم (6499) 3/ 511، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني - عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق،ط/1، (1411 - 1412 هـ) = (1990 م -1992 م) كتاب الصلاة، باب فيمَن حافظ على الصلاة ومَن تركها برقم(255)1/ 397.

الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: (فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا) [143]، أي: إذا تقدم بعضكم على بعض في الصفوف تأثرت قلوبكم ونشأ بينكم الخلف ومنه الحديث الآخر: (لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ)[144]، أَرَادَ وُجوه القُلوب، كحدِيثه الآخَر (لَا تَخْتَلِفوا فتَخْتَلِفَ قَلوبُكُم) أَيْ هَواها وإرادتُها[145]، ولان إقبال الوجه على الوجه من أثر المودة والألفة .

ولقد عاب الله I على الذين اتخذوا مسجدا ضرار أَر في عهد رسول الله ρ إذ كان مقصدهم التفريق بين جماعة المسلمين فقال اللهY عنهم : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [146]

قال الإمام أبو عبدالله محمد القرطبي : قولهΨ: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ أَيْ: يُفَرِّقُونَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ لِيَتَخَلَّفَ أَقْوَامٌ عَنِ النَّبِيِّ ρ. وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْمَقْصِدَ الْأَكْبَرَ وَالْغَرَضَ الْأَظْهَرَ مِنْ وَضْعِ الْجَمَاعَةِ تَأْلِيفُ الْقُلُوبِ وَالْكَلِمَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَعَقْدُ الذِّمَامِ وَالْحُرْمَةِ بِفِعْلِ الدِّيَانَةِ حَتَّى يَقَعَ الْأُنْسُ بِالْمُخَالَطَةِ، وَتَصْفُوَ الْقُلُوبُ مِنْ وَضَرِ الْأَحْقَادِ.[147] ، ومسجد الضرار كان قد بناه المنافقون في عهد رسول الله ρبقصد التفريق والافساد ففضحهم اللهY وأمر رسول الله ρ بهدمه فهدمه[148]

الركن الثالث :من أركان الإسلام الزكاة:

---

[143] صحيح مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، وَإِقَامَتِهَا، وَفَضْلِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ مِنْهَا، وَالِازْدِحَامِ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، وَتَقْدِيمِ أُولِي الْفَضْلِ، وَتَقْرِيبِهِمْ مِنَ الْإِمَامِ، برقم(432) 1/ 323.

[144] **صحيح البخاري**، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ عِنْدَ الإِقَامَةِ وَبَعْدَهَا **برقم (717)1/ 145**،صحيح مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، وَإِقَامَتِهَا، وَفَضْلِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ مِنْهَا، وَالِازْدِحَامِ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، وَتَقْدِيمِ أُولِي الْفَضْلِ، وَتَقْرِيبِهِمْ مِنَ الْإِمَامِ، برقم(436)1/324.

[145] **النهاية في غريب الحديث والأثر، ، ابن الأثير ، 158/5.**

[146] التوبة: ١٠٧ .

[147] **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي،8/ 257.**

[148] ينظر: جوامع السيرة النبوية، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ص 202، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: 734هـ)تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، **ط/1، 1414هـ ــ1993م،2/ 275.**

يتضح التكاتف والتآلف في هذا الركن حيث تزكي نفوس أبناء المجتمع المسلم قبل أموالهم تزكيهم، غنيهم وفقيرهم وتطهرها تطهر الأغنياء من الجشع والبخل والشح إذ يبذل هذا المال للفقراء حقا مشروعا لهم وتطهر الفقراء من الحقد والحسد الذي قد ينتاب بعض النفوس المحرومة حينما ترى غيرها من الأغنياء في نعمة ورخاء[149].

الركن الرابع : الصوم:

الشهر الواحد الذي يصومه المسلمون في أوقات واحدة: من النهار إلى الليل وامتناعهم عن المفطرات ذاتها ، وتخلقهم بما حثهم الإسلام عليه حال صومهم ثم تتوجهم هذه الوحدة في هذه العبادة بأداء عبادة أخرى تعطي أنموذجا فريدا للتكافل الاجتماعي في البناء المسلم ووحدة أبنائه وتعاضدهم بأداء زكاة الفطر ليشترك الجميع بأداء صلاة العيد ويشتركون في الفرح بفضل الله ونعمته عليهم بإتمام صوم شهرهم والأغنياء والفقراء في ذلك اليوم عندهم قوت يومهم.

كل ذلك حرصا على قيام الجماعة المسلمة على أساس الألفة والمحبة وسدا لباب الضغينة والحقد والحسد والشح الذي يفرق الجماعة ويفتك بالأمة[150] .

الركن الخامس: في هذا الدين العظيم: شعيرة الحج إلى البيت الحرام:

قال Y : ﭽ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ
ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ
ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ[151]، فمن بداية الحج تظهر الوحدة جلية بين المسلمين في وحدة اللباس: لباس الإحرام ووحدة القول: التلبية بالإحرام، والمكان: البيت الحرام ووحدة الفعل: من الطواف بالبيت والتنفل في مشاعر الحج ووحدة بذل المال والعطاء: من تقديم الهدي وهم في ذلك كله موحدون لله Yمخلصون له العمل متجهون إليه لا يقصدون أحدا سواه سبحانه.

وهذه الآيات في سورة الحج التي عرضت لشعائر الحج وبضع أحكامه ذكرت بالتوحيد في أوله: قال Yﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ

---

149 أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ، أبو الأعلى المودودي ترجمة محمد عاصم الحاد ،الدار السعودية جدة ، 1988، ص 52 ــ56، السياسة المالية في الإسلام ، عبد الكريم الخطيب دار المعرفة ، بيروت ، (د.ط،د.ت) ص 194,يسألونك عن الزكاة، حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، لجنة زكاة القدس،فلسطين، **ط/1، 1428 هـ - 2007 م، ص5.**

150

151 الحج: ٢٧ ــ ٢٩.

ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ

ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭹ[152] ،وفي ثناياه: ﭸ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭹ[153] ، وفي خاتمته ﭸ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭹ[154] لتؤكد أن وحدة العمل ووحدة الجماعة لا تكون إلا بوحدة المعتقد بتوحيد الله رب العالمين[155] . هذه إشارات لما في أركان الإسلام من تحقيق الوحدة والحرص على تحقيق الجماعة بين المسلمين[156] ويؤكد هذا الدين الحنيف والذي عمل على تأصيل مبدأ الجماعة والتحذير من الفرقة يحث على إقامة الأخوة بين المسلمين على أساس رابط الإيمان باللهY وحثه على القيام بواجب هذه الأخوة وأداء حقوقها[157]

يقول الله Y : ﭸ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭹ [158] ،ففي هذه الآية بين الله Yأن أساس الجماعة وسبب الاجتماع هو الإيمان ورباط الأخوة الإيمانية: الأخوة في الدين أعظم رباط وعلى أساسه يكون الولاء أو البراء ، فقوله تعالى :ﭸ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭹ ﮔ أي: يوالي بعضهم بعضا فهم يد واحدة يأمرون بالإيمان وينهون عن الكفر[159]

ويبين الإمام إسماعيل بن كثير أن الولاية بين المؤمنين في هذه الآية هي

---

[152] الحج: ٢٦.

[153] الحج: ٣١.

[154] الحج: ٣٤ .

[155] ينظر: النوازل في الحج ، د.علي بن ناصر الشلعان ، دار التوحيد للنشر ، الرياض، ، ط/1431،1هـ ـــ 2010م، ص7.

[156] الِفْقه الإسلامي وأدَلّتُه، أ. د.َوْهَبة بن مصطفى الُّزَحْيِلي، دار الفكر - سورَّية – دمشق، ط/4، (د.ت)،2/ 1167.

[157] خصائص التشريع الإسلامي، محمد فتحي الدريني ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 98 ، التربية الروحية والاجتماعية ،أكرم ضياء العمري, دار إشبيليا، ط/1،1417هـ.، ص 37، موسوعة القيم ومكارم الأخلاق ، مرزوق بن صنيتان تنباك ، دار رواح للنشـروالتوزيع ، الرياض (،د.ط، د.ت) ص97، منهج النبي ρفي التربية والتعليم، خالد بن عبد الله المصلح، دار المعرفة ، بيروت ، ط/1 ، 1999،ص 120، التربية في الإسلام، ، أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، مصر، 1967م، ص68.

[158] التوبة: ٧١.

[159] زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ، 2/ 277.

النصرة والتعاضد فيقول في قوله تعالى :چ ﮓ ﮔ ﮕ چ أَيْ: يَتَنَاصَرُونَ وَيَتَعَاضَدُونَ[160]، كَمَا جَاءَ فِي الصحيحين: عَنْ أَبِي مُوسَى τ، عَنِ النَّبِيِّ ρقَالَ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[161] ،

وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[162]، ويضيف الشوكاني معنى آخر للولاية بين المؤمنين وهي محبة المؤمن لأخيه المؤمن فيقول: قوله تعالى چ ﮓ ﮔ ﮕ چ (أَيْ: قُلُوبُهُمْ مُتَّحِدَةٌ فِي التَّوَادُدِ، وَالتَّحَابُبِ، وَالتَّعَاطُفِ بِسَبَبِ مَا جَمَعَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، وَضَمَّهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ)[163]

بهذا تكون الجماعة وبهذا يتحقق الاتحاد في الأمة حينما تتناصر وتتعاضد وتكون يدا واحدة حينما تجتمع القلوب وتتعاطف على أساس قوي ورابط أبدي على أساس الإيمان بالله تعالى الذي لا تؤثر عليه دنيا ولا يغيره عرض زائل عندها تستحق الأمة العلو والسيادة والريادة.

ويبين عبدالله بن عباس ويؤكد أن الولاء والبراء لا بد أن يقوم على أساس الإيمان بالله تعالى فيقول : مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: (يَا مُجَاهِدُ، أَحِبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغِضْ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تَنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَ صَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ مُؤَاخَاةُ النَّاسِ الْيَوْمَ أَوْ عَامَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْزِئُ عَنْ أَهْلِهِ شَيْئًا، ثُمَّ قَرَأَ چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ الزخرف: ٦٧ وَقَرَأَ چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ چ

---

[160] تفسير القرآن العظيم،4/ 174.

[161] **صحيح البخاري**، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ نَصْرِ المَظْلُومِ ،**برقم(2446) 3/ 129**، صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، برقم (2585)1999/4.

[162] صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، برقم (2586)1999/4.

[163] **فتح القدير، 2/ 434.**

ڈ ڈ ڈ ڈ چ المجادلة: ٢٢)[164] ويؤكد المولى الكريم سبحانه على الأخوة الإيمانية بين المؤمنين والتي بها يسد كل باب يؤدي إلى الاختلاف والفرقة ومن خلالها يلتئم شمل الجماعة وتعم الألفة والمحبة فيقول Ψ: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ[165]، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي عن قوله تعالى: چ ۇ ۆ ۆ چ هذا عقد،

عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم[166]

ولهذا قال النبي ρ آمرًا بحقوق الأخوة الإيمانية: (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا) وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)[167]، قال النبي ρ (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[168]

ولقد أمر اللهY ورسوله ،ρبالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادد، والتواصل بينهم، كل هذا، تأييد لحقوق بعضهم على

---

[164] **الإيمان ، أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن أبي عمر العدني (المتوفى: 243هـ)، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي الدار السلفية – الكويت، ط/1، 1407هـ ، ص 128، تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: 294هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار ـ المدينة المنورة، ط/1، 1406هـ ، 1/ 406، الدر المنثور**في التفسير بالماثور، **عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر – بيروت، 8/ 87.**

[165] الحجرات: ١٠.

[166] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1420هـ -2000 م، ص 800.**

[167] رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، برقم(2564)4/ 1986.

[168] سبق تخريجه.

بعض، فمن ذلك، إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفرق القلوب وتباغضها وتدابرها ، فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليسعوا فيما به يزول شنآنهم. ثم أمر بالتقوى عمومًا، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله تعالى : چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چ[169] وإذا حصلت الرحمة، حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك، على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة[170] .

وحرصا على هذه الرابطة المهمة بين المسلمين أمر بالإصلاح بين المسلمين لو طرأ على هذه الرابطة ما يوهنها أو يوجب تفرقها لذلك قال تعالى :چ ۇ و و چ[171] ، ثم يؤكد الله Yرابطة الأخوة الإيمانية السابقة بأن ينهى عن الأسباب التي تؤدي إلى إضعافها من سلوكيات خاطئة تؤثر سلبا على المجتمع المسلم والتي من شأنها أن توغر القلوب وتحرك الضغائن في النفوس فتتفرق القلوب وتهتز هذه الأخوة الإيمانية وتضطرب لذلك قال Y: چ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ چ[172] ،وفي الحديث عن رسول اللهِ ρ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)[173]

يقول الحافظ أبن حجر عن قولهρ: (وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) (وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تُشْبِهُ التَّعْلِيلَ لِمَا تَقَدَّمَ كَأَنَّهُ قَالَ إِذَا تَرَكْتُمْ هَذِهِ الْمَنْهِيَّاتِ كُنْتُمْ إِخْوَانًا وَمَفْهُومُهُ إِذَا لَمْ تَتْرُكُوهَا تَصِيرُوا أَعْدَاءً وَمَعْنَى كُونُوا إِخْوَانًا اكْتَسِبُوا مَا تَصِيرُونَ بِهِ إِخْوَانًا مِمَّا سَبَقَ ذِكْرُهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُقْتَضِيَةِ لِذَلِكَ إِثْبَاتًا ونفيا وَقَوله عباد الله أَي يَا عِبَادُ اللَّهِ بِحَذْفِ حَرْفِ النِّدَاءِ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ فَحَقُّكُمْ أَنْ

---

169 الحجرات:من الآية: ١٠.

170 **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ، ص 800.**

171 الحجرات:من الآية: ١٠.

172 الحجرات: ١١ – ١٢.

173 **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ **برقم(6064) 8/ 19، ومسلم ، بلفظ:**(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا)، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا، برقم(2563)4/ 1985كلاهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

تَتَوَاخُوا بِذَلِكَ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ الْمَعْنَى كُونُوا كَإِخْوَانِ النَّسَبِ فِي الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمُوَاسَاةِ وَالْمُعَاوَنَةِ وَالنَّصِيحَةِ) [174] ومن حرص الإسلام على الجماعة وعلى الأخوة الإيمانية وإغلاقه لباب الفرقة وسده
لسبلها أنه أمر بالانتساب إلى الأسماء المشروعة ونهى عن الانتساب إلى غيرها أو رفع شعارات تدعو إلى الحزبية أو تنادي إلى القومية خاصة إذا كانت هذه الشعارات وهذه الانتماءات ترفع للعصبية والحمية التي من شأنها أن تفرق بين الجماعة المسلمة فتحل هذه الانتماءات والولاءات مكان الأخوة الإيمانية العامة الشاملة لكل مؤمن في مشارق الأرض ومغاربها.
ففي الحديث أن رسول الله ρ قال: قَالَ النَّبِيُّ ρ: (وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ)، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: (وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ)[175]
.

المطلب الثالث
بيان حال أهل الفرقة والاختلاف

المبحث الثاني الى هنا تدقق
أسباب الاجتماع وبيان طرق تأليف قلوب المسلمين، الفرقة من وسائل الشيطان على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة

المطلب الأول

---

[174] **فتح الباري شرح صحيح البخاري، 10/ 483.**
[175] مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم(22910) 543/37، سنن الترمذي،أَبْوَابُ الأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρبَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ ، برقم (2863)445/4، المستدرك على الصحيحين، برقم (404)204/1.

التأكيد على أسباب الاجتماع

لقد سلكت النصوص الواردة في النهي عن الفرقة هذا المسلك للتأكيد على النهي عن الفرقة والأمر بلزوم الجماعة إذ الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة أصل من أصول الإسلام العظيمة وقاعدة من قواعد الدين ،وأن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين[176]

ويلاحظ ان هذا الأصل قد تجلى بوضوح في أركان الإسلام الخمسة:

الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله ρ :

فعقيدة التوحيد هي أعظم ما يجمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إذ هذه الكلمة ينطقها كل مسلم عربي أو غير عربي.

وبوحدة المعتقد تتحقق وحدة الجماعة ومتى ما كان المعتقد خالصا صافيا صائبا كانت الجماعة مجتمعة ملتئمة أما إن دب الخلاف في العقيدة تلاه اختلاف في الجماعة وتفرق.

ثم إن وحدة المعتقد ووحدة الجماعة مما رضيه الله لنا ففي الحديث عن رسول ρ قال: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ) [177]، فقرن هنا بين وحدة المعتقد على توحيد الله ووحدة

الجماعة على الاعتصام بحبل الله.

الركن الثاني: الصلوات الخمس المفروضة:

فهي أنموذج أمثل للوحدة بين المسلمين في اتحادهم في عددها وأركانها وشروطها وكيفيتها مما يجمع المسلمين ومما يجتمعون عليه بالصلاة يعرف المسلم من الكافر إذ هي عمود الدين، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: (العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)[178] ،ثم إن

---

176 **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،النووي،2/ 36.**

177 صحيح مسلم ، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، برقم(1715) 3/ 1340.

178 مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم(22937) 38/ 20، سنن ابن ماجه ، أَبْوَابُ إِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ ، برقم (1078) 2/ 181، سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ، برقم(2621)

في أداء الصلاة جماعة في المسجد مثال واضح لكيفية تأليف القلوب واتحاد الجماعة باتحاد الأبدان في أداء فعل واحد في مكان واحد خلف إمام واحد، لذلك جاء الأمر بتسوية صفوف الصلاة وإتمامها الأول فالأول، والإشارة إلى أن اختلاف الصف في الصلاة سبب لاختلاف القلوب وتنافر النفوس ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ρيَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: (اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: (فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا) [179]، أي: إذا تقدم بعضكم على بعض في الصفوف تأثرت قلوبكم ونشأ بينكم الخلف ومنه الحديث الآخر: (لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ)[180]، أَرَادَ وُجوه القُلوب، كحدِيثه الآخَر (لَا تَخْتَلِفوا فتَخْتَلِفَ قَلوبُكُم) أَيْ هَواها وإرادتُها[181]، ولان إقبال الوجه على الوجه من أثر المودة والألفة .

ولقد عاب الله I على الذين اتخذوا مسجدا ضرار أر في عهد رسول الله ρ إذ كان مقصدهم التفريق بين جماعة المسلمين فقال اللهY عنهم : چ ٱ ب ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ چ [182]

قال الإمام أبو عبدالله محمد القرطبي : قولهΨ: چ پ پ چ أَيْ: يُفَرِّقُونَ بِهِ

4/ 310، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، السنن الكبرى، النسائي ،،كِتَابُ الصَّلَاةِ، الْحُكْمُ فِي تَارِكِ الصَّلَاةِ وَذِكْرُ الِاخْتِلَافِ فِي ذَلِكَ، برقم(326)1/ 208، السنن الكبرى ، البيهقي ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَكْفِيرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ عَمْدًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ برقم (6499) 3/ 511، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني - عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق،ط/1، (1411 - 1412 هـ) = (1990 م -1992 م) كتاب الصلاة، باب فيمَن حافظ على الصلاة ومَن تركها برقم(255)1/ 397.

[179] صحيح مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، وَإِقَامَتِهَا، وَفَضْلِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ مِنْهَا، وَالِازْدِحَامِ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، وَتَقْدِيمِ أُولِي الْفَضْلِ، وَتَقْرِيبِهِمْ مِنَ الْإِمَامِ، برقم(432) 1/ 323.

[180] **صحيح البخاري**، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ عِنْدَ الإِقَامَةِ وَبَعْدَهَا **برقم (717)1/ 145**،صحيح مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، وَإِقَامَتِهَا، وَفَضْلِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ مِنْهَا، وَالِازْدِحَامِ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، وَتَقْدِيمِ أُولِي الْفَضْلِ، وَتَقْرِيبِهِمْ مِنَ الْإِمَامِ، برقم(436)324/1.

[181] **النهاية في غريب الحديث والأثر، ، ابن الأثير ، 158/5.**

[182] التوبة: ١٠٧ .

جَمَاعَتَهُمْ لِيَتَخَلَّفَ أَقْوَامٌ عَنِ النَّبِيِّ ρ. وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْمَقْصِدَ الْأَكْبَرَ وَالْغَرَضَ الْأَظْهَرَ مِنْ وَضْعِ الْجَمَاعَةِ تَأْلِيفُ الْقُلُوبِ وَالْكَلِمَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَعَقْدُ الذِّمَامِ وَالْحُرْمَةِ بِفِعْلِ الدِّيَانَةِ حَتَّى يَقَعَ الْأُنْسُ بِالْمُخَالَطَةِ، وَتَصْفُوَ الْقُلُوبُ مِنْ وَضَرِ الْأَحْقَادِ.[183] ، ومسجد الضرار كان قد بناه المنافقون في عهد رسول الله ρبقصد التفريق والافساد ففضحهم اللهY وأمر رسول الله ρ بهدمه فهدمه[184]

الركن الثالث :من أركان الإسلام الزكاة:

يتضح التكاتف والتآلف في هذا الركن حيث تزكي نفوس أبناء المجتمع المسلم قبل أموالهم تزكيهم، غنيهم وفقيرهم وتطهرها تطهر الأغنياء من الجشع والبخل والشح إذ يبذل هذا المال للفقراء حقا مشروعا لهم وتطهر الفقراء من الحقد والحسد الذي قد ينتاب بعض النفوس المحرومة حينما ترى غيرها من الأغنياء في نعمة ورخاء[185].

الركن الرابع : الصوم:

الشهر الواحد الذي يصومه المسلمون في أوقات واحدة: من النهار إلى الليل وامتناعهم عن المفطرات ذاتها ، وتخلقهم بما حثهم الإسلام عليه حال صومهم ثم تتوجهم هذه الوحدة في هذه العبادة بأداء عبادة أخرى تعطي أنموذجا فريدا للتكافل الاجتماعي في البناء المسلم ووحدة أبنائه وتعاضدهم بأداء زكاة الفطر ليشترك الجميع بأداء صلاة العيد ويشتركون في الفرح بفضل الله ونعمته عليهم بإتمام صوم شهرهم والأغنياء والفقراء في ذلك اليوم عندهم قوت يومهم.

كل ذلك حرصا على قيام الجماعة المسلمة على أساس الألفة والمحبة وسدا

---

183 **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي،8/ 257.**

184 ينظر: جوامع السيرة النبوية، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ص 202، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: 734هـ)تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، **ط/1، 1414هـ ــ1993م،2/ 275.**

185 أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ، أبو الأعلى المودودي ترجمة محمد عاصم الحاد ،الدار السعودية جدة ، 1988، ص 52 ــ56، السياسة المالية في الإسلام ، عبد الكريم الخطيب دار المعرفة ، بيروت ، (د.ط،د.ت) ص 194,يسألونك عن الزكاة، حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، لجنة زكاة القدس،فلسطين، **ط/1، 1428 هـ - 2007 م، ص5.**

لباب الضغينة والحقد والحسد والشح الذي يفرق الجماعة ويفتك بالأمة[186] .
الركن الخامس: في هذا الدين العظيم: شعيرة الحج إلى البيت الحرام:
قال Y : ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ[187]، فمن بداية الحج تظهر الوحدة جلية بين المسلمين في وحدة اللباس: لباس الإحرام ووحدة القول: التلبية بالإحرام، والمكان: البيت الحرام ووحدة الفعل: من الطواف بالبيت والتنفل في مشاعر الحج ووحدة بذل المال والعطاء: من تقديم الهدي وهم في ذلك كله موحدون لله Yمخلصون له العمل متجهون إليه لا يقصدون أحدا سواه سبحانه.
وهذه الآيات في سورة الحج التي عرضت لشعائر الحج وبضع أحكامه ذكرت بالتوحيد في أوله: قال Yﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[188] ،وفي ثناياه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[189] ، وفي خاتمته ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[190] لتؤكد أن وحدة العمل ووحدة الجماعة لا تكون إلا بوحدة المعتقد بتوحيد الله رب العالمين[191] . هذه إشارات لما في أركان الإسلام من تحقيق الوحدة والحرص على تحقيق الجماعة بين المسلمين[192] ويؤكد هذا الدين الحنيف والذي عمل على تأصيل مبدأ الجماعة والتحذير من الفرقة يحث على إقامة الأخوة بين المسلمين على أساس رابط

186

187 الحج: ٢٧ ــ ٢٩.

188 الحج: ٢٦.

189 الحج: ٣١.

190 الحج: ٣٤ .

191 ينظر: النوازل في الحج ، د.علي بن ناصر الشلعان ، دار التوحيد للنشر ، الرياض، ، ط/1،1431هــ ــ 2010م، ص7.

192 الِفْقه الإسلامي وأدلّتُه، أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِي، دار الفكر - سوريَّة – دمشق، ط/4، (د.ت)،2/ 1167.

الإيمان باللهY وحثه على القيام بواجب هذه الأخوة وأداء حقوقها[193]
يقول الله Y : چ ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ چ [194] ،ففي هذه الآية بين الله Yأن أساس الجماعة وسبب الاجتماع هو الإيمان ورباط الأخوة الإيمانية: الأخوة في الدين أعظم رباط وعلى أساسه يكون الولاء أو البراء ، فقوله تعالى :چ ک گ گ گ گ چ چ أي: يوالي بعضهم بعضا فهم يد واحدة يأمرون بالإيمان وينهون عن الكفر[195]
ويبين الإمام إسماعيل بن كثير أن الولاية بين المؤمنين في هذه الآية هي النصرة والتعاضد فيقول في قوله تعالى :چ گ گ گ چ أَيْ: يَتَنَاصَرُونَ وَيَتَعَاضَدُونَ[196]، كَمَا جَاءَ فِي الصحيحين: عَنْ أَبِي مُوسَى τ، عَنِ النَّبِيِّ ρقَالَ: (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[197] ،
وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[198]، ويضيف الشوكاني معنى آخر للولاية بين المؤمنين وهي محبة المؤمن لأخيه المؤمن فيقول: قوله تعالى چ

---

[193] خصائص التشريع الإسلامي، محمد فتحي الدريني ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص 98 ، التربية الروحية والاجتماعية ،أكرم ضياء العمري, دار إشبيليا، ط/1،1417هـ، ص 37، موسوعة القيم ومكارم الأخلاق ، مرزوق بن صنيتان تنباك ، دار رواح للنشروالتوزيع ، الرياض (،د.ط، د.ت) ص97، منهج النبي ρفي التربية والتعليم، خالد بن عبد الله المصلح، دار المعرفة ، بيروت ، ط/1 ، 1999،ص 120، التربية في الإسلام، ، أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، مصر، 1967م، ص68.

[194] التوبة: ٧١.

[195] زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ، 2/ 277.

[196] تفسير القرآن العظيم،4/ 174.

[197] **صحيح البخاري**، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ نَصْرِ المَظْلُومِ ،**برقم(2446) 3/ 129**، صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، برقم (2585)4/1999.

[198] صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، برقم (2586)4/1999.

گ گ گ چ (أَيْ: قُلُوبُهُمْ مُتَّحِدَةٌ فِي التَّوَادُدِ، وَالتَّحَابُبِ، وَالتَّعَاطُفِ بِسَبَبِ مَا جَمَعَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، وَضَمَّهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ)[199]
بهذا تكون الجماعة وبهذا يتحقق الاتحاد في الأمة حينما تتناصر وتتعاضد وتكون يدا واحدة حينما تجتمع القلوب وتتعاطف على أساس قوي ورابط أبدي على أساس الإيمان بالله تعالى الذي لا تؤثر عليه دنيا ولا يغيره عرض زائل عندها تستحق الأمة العلو والسيادة والريادة.
ويبين عبدالله بن عباس ويؤكد أن الولاء والبراء لا بد أن يقوم على أساس الإيمان بالله تعالى فيقول : مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: (يَا مُجَاهِدُ، أَحِبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغِضْ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تَنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَ صَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ مُؤَاخَاةُ النَّاسِ الْيَوْمَ أَوْ عَامَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْزِئُ عَنْ أَهْلِهِ شَيْئًا، ثُمَّ قَرَأَ چ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ چ الزخرف: ٦٧ وَقَرَأَ چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ چ المجادلة: ٢٢)[200] ويؤكد المولى الكريم سبحانه على الأخوة الإيمانية بين المؤمنين والتي بها يسد كل باب يؤدي إلى الاختلاف والفرقة ومن خلالها يلتئم شمل الجماعة وتعم الألفة والمحبة فيقول Ψ: چ ۋ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ[201]، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي عن قوله تعالى: چ ۋ ۇ ۇ چ هذا عقد،
عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون

---

199 **فتح القدير، 2/ 434.**

200 **الإيمان ، أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن أبي عمر العدني (المتوفى: 243هـ)، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي الدار السلفية – الكويت، ط/1، 1407هـ ، ص 128، تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: 294هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار ـ المدينة المنورة، ط/1، 1406هـ ، 1/ 406، الدر المنثورفي** التفسير بالماثور، **عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر – بيروت، 8/ 87.**

201 الحجرات: ١٠.

له، ما يكرهون لأنفسهم[202]
ولهذا قال النبي ρ آمرًا بحقوق الأخوة الإيمانية: (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا) وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)[203]، قال النبي ρ (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[204]
ولقد أمر اللهY ورسوله ρ،بالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادد، والتواصل بينهم، كل هذا، تأييد لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك، إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفرق القلوب وتباغضها وتدابرها ، فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليسعوا فيما به يزول شنآنهم. ثم أمر بالتقوى عمومًا، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله تعالى : ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[205]وإذا حصلت الرحمة، حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك، على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة[206] .
وحرصا على هذه الرابطة المهمة بين المسلمين أمر بالإصلاح بين المسلمين لو طرأ على هذه الرابطة ما يوهنها أو يوجب تفرقها لذلك قال تعالى :ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[207] ، ثم يؤكد الله Yرابطة الأخوة الإيمانية السابقة بأن ينهى عن الأسباب التي تؤدي إلى إضعافها من سلوكيات خاطئة تؤثر سلبا على المجتمع المسلم والتي من شأنها أن توغر القلوب وتحرك الضغائن في النفوس فتتفرق القلوب وتهتز هذه الأخوة الإيمانية وتضطرب لذلك قال Y: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﭼ

[202] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1420هـ -2000 م، ص 800.**
[203] رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، برقم(2564)4/ 1986.
[204] سبق تخريجه.
[205] الحجرات:من الآية: ١٠.
[206] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ، ص 800.**
[207] الحجرات:من الآية: ١٠.

بى تم ثم ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ
ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ
208 ،وفي الحديث عن رسول اللهِ ρ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)[209]

يقول الحافظ أبن حجر عن قولهρ: (وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) (وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تُشْبِهُ التَّعْلِيلَ لِمَا تَقَدَّمَ كَأَنَّهُ قَالَ إِذَا تَرَكْتُمْ هَذِهِ الْمَنْهِيَّاتِ كُنْتُمْ إِخْوَانًا وَمَفْهُومُهُ إِذَا لَمْ تَتْرُكُوهَا تَصِيرُوا أَعْدَاءً وَمَعْنَى كُونُوا إِخْوَانًا اكْتَسِبُوا مَا تَصِيرُونَ بِهِ إِخْوَانًا مِمَّا سَبَقَ ذِكْرُهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُقْتَضِيَةِ لِذَلِكَ إِثْبَاتًا ونفيا وَقَوله عباد الله أَي يَا عِبَادُ اللَّهِ بِحَذْفِ حَرْفِ النِّدَاءِ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ فَحَقُّكُمْ أَنْ تَتَوَاخُوا بِذَلِكَ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ الْمَعْنَى كُونُوا كَإِخْوَانِ النَّسَبِ فِي الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمُوَاسَاةِ وَالْمُعَاوَنَةِ وَالنَّصِيحَةِ) [210] ومن حرص الإسلام على الجماعة وعلى الأخوة الإيمانية وإغلاقه لباب الفرقة وسده لسبلها أنه أمر بالانتساب إلى الأسماء المشروعة ونهى عن الانتساب إلى غيرها أو رفع شعارات تدعو إلى الحزبية أو تنادي إلى القومية خاصة إذا كانت هذه الشعارات وهذه الانتماءات ترفع للعصبية والحمية التي من شأنها أن تفرق بين الجماعة المسلمة فتحل هذه الانتماءات والولاءات مكان الأخوة الإيمانية العامة الشاملة لكل مؤمن في مشارق الأرض ومغاربها.

ففي الحديث أن رسول الله ρ قال: قَالَ النَّبِيُّ ρ: (وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ)، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: (وَإِنْ

---

208 الحجرات: ١١ – ١٢.

209 **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ **برقم(6064) 8/ 19، ومسلم ، بلفظ:**(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا)، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا، برقم(2563)4/ 1985كلاهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

210 **فتح الباري شرح صحيح البخاري، 10/ 483.**

صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ)[211]
.

الفصل الثالث

بيان حال أهل الفرقة والاختلاف واسباب التفرق ،الفرقة من وسائل الشيطان وضررها على الفرد المفارق والمجتمع المسلم و والفرقة الناجية ،و منهج العلماء في عدَّ الفرق

المبحث الاول

بيان حال أهل الفرقة والاختلاف واسباب التفرق، الفرقة من وسائل الشيطان على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة

المطلب الاول
بيان حال أهل الفرقة والاختلاف

إن الحق أبلج، والباطل لجلج، فالحق هو الحق في كل زمان وكل مكان لا يختلف ولا يتغير ولا يتعدد بل هو واحد وما ذاك إلا لوحدة المصدر الذي يستقى منه، إنه من لدن حكيم خبير.
لذلك نجد النصوص حين تذكر الصراط تذكره بصيغة الإفراد لأنه واحد كما قال Y : چ چ چ چ چچ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ[212].
وبلزوم هذا الصراط تتحقق الجماعة ويلتئم شمل الأمة وبمخالفة هذا الصراط والبعدعنه تحدث الفرقة ويجانب المرء الحق والصواب ويرتكب الباطل، هذا الباطل المتعدد
المتلون والذي حذرنا الله تعالى منه.

---

[211] مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم(22910) 543/37، سنن الترمذي،أَبْوَابُ الأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρبَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ ، برقم (2863)445/4، المستدرك على الصحيحين، برقم (404)204/1.

[212] الأنعام: ١٥٣.

قال ابن كثير في هذه الآية چ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ چ إِنَّمَا وَحَّدَ [سُبْحَانَهُ] سَبيله لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ؛ وَلِهَذَا جَمَعَ لِتَفَرُّقِهَا وَتَشَعُّبِهَا[213]
إن سبل الضلالات المحدثات متعددة متفرقة وهذا حال أهل الفرقة: من حاد عن الصراط المستقيم فهم في فرقة واختلاف وتنازع وشقاق كل واحد منهم يأخذ شقا وجانبا غير جانب وشق الآخر.
ولقد وصفهم الله Ψ بقوله : چ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ چ[214] وقال Y: چ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ چ[215] وقال Ψعن الكافرين : چ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ[216] ، ففي الآيات السابقة يصف الله تعالى حال المخالفين للحق المفارقين له وأنهم في شقاق: شقاق مع الحق وشقاق مع القائمين به والداعين إليه والشقاق في هذه الآيات يأتي بمعان ثلاث[217] :

1. الشقاق بمعنى الخلاف والمعاداة والمنازعة وأصله من الشق وهو الجانب فكأن كل واحد من الفريقين في شق غير شق صاحبه[218]
وهذا حال المجانبين للحق المفارقين له من أهل الكفر من الأديان والملل ومن أهل البدع أصحاب الفرقة فهم في شقاق في خلاف ومعاداة ومنازعة للحق وقد وصفهم الله تعالى بقوله :چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ چ[219] 6 أي : الخلاف والعداوة لرسول الله ρ[220]، ووصف أهل الكتاب من اليهود والنصارى بقوله تعالى : چ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ چ[221] أي: فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا هُمْ فِي عِصْيَانٍ وَفُرَاقٍ وَحَرْبٍ لِلَّهِ

---

213 **تفسير القرآن العظيم، 3/ 367.**
214 البقرة: ١٧٦ .
215 البقرة: ١٣٧.
216 الحج: من الآية: ٥٣.
217 **غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط/1، 1416 هـ، 414/1.**

218 **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 2/ 143**، فتح القدير،الشوكاني، 1/ 534.
219 ص: ٢.
220 **زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، 3/ 558**
221 البقرة:من الآية: ١٣٧.

وَلِرَسُولِهِ وَلَكُمْ[222]، ووصف أهل البدع أصحاب القلوب المريضة بأنهم واقعون في الشقاق فقال :I چ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ چ[223]، فيجعل الله Yما يلقيه الشيطان فتنة وضلالة لطائفتين من الناس هما:

أ ـ الذين في قلوبهم مرض: الشك والنفاق.

ب ـ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ: هُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَلِينُ لِلْحَقِّ أَبَدًا، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى الصَّوَابِ بِحَالٍ[224] ثم سجل على هاتين الطائفتين بأنهم ظالمون فقال:Y چ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ چ[225] أي: عَدَاوَةٍ شَدِيدَةٍ[226] فأهل الفرقة في شقاق وعداء للحق وكذلك هم في شقاق فيما بينهم قد تعددت أقوالهم وتناقضت آراؤهم واختلفوا فيما بينهم وهذا دليل على بطلان دعاويهم لأنهم إنما يتبعون السبل. لذلك وصف أهل الكتاب بقوله تعالى: چ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ چ[227].

2. المعنى الثاني للشقاق بأنه يأتي بمعنى الشق وهو الصدع[228] ، أو الفصل في الشيء[229] .

ويطلق على أهل الفرقة وذلك لأنهم فارقوا الجماعة وشقوا عصا الطاعة[230] ، فهم في شقاق بهذا الاعتبار.

---

222 جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، 2/ 601.

223 الحج: ٥٣.

224 زاد المسير في علم التفسير،أبو الفرج الجوزي 3/ 246 ، تفسير ابن كثير ، 5/ 446،فتح القدير للشوكاني ، 3/ 547، ،

225 الحج: من الآية:٥٣.

226 فتح القدير للشوكاني، 3/ 547.

227 البقرة: ١٧٦.

228 **القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/8، 1426 هـ - 2005 م، ص 736.**

229 النهاية في غريب الحديث والأثر، **ابن الأثير ، 2/ 491.**

230 **زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ،1/ 116غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط/1، 1416 هـ**،1/ 416.

3. المعنى الثالث للشقاق أن يطلق ويراد به المشقة وهي فعل ما يشق ويصعب فكأن كل واحد من الفريقين يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه [231].

وهذا دأب أصحاب الفرقة كما وصفهم I: چہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ چ[232]

ووصفهم الله Y بوقوع العداوة والبغضاء فيما بينهم لمخالفتهم بعض ما جاء منالحق قال تعالى : چ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ[233] ولقد ذكر الله Iذلك كله تنفيرا من الفرقة وحثا للأمة على الجماعة، لهذا جاء الوعيد الشديد للمفارق للجماعة الخارج عنها يقول I: چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ[234]، وقال تعالى : چ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ چ[235].

ولقد وردت النصوص النبوية تتوعد الخارج عن الجماعة المفارق لها بأشد وعيد ، فقد أورد الإمام مسلم عدة أحاديث في (صحيحه) حول هذا الموضوع بوب لها الإمام النووي تحت قوله: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة[236]

وأورد تحتها عدة أحاديث منها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ρ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ)[237] ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، قَالَ: (مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ

---

[231] مختار الصحاح، **الرازي،ص 167**، لسان العرب، **ابن منظور،10/ 183.**

[232] الحشر: ١٤.

[233] المائدة: ١٤.

[234] النساء: ١١٥.

[235] الأنعام: ١٥٩.

[236] **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،النووي، 13/ 236.**

[237] **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر، **برقم(1848) 3/ 1476.**

مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)[238]، و قالَ ρ : (مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً) [239] ، ويقول حذيفة بن اليمانَ τ: (وَاللهِ مَا فَارَقَ رَجُلٌ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا إِلَّا فَارَقَ الْإِسْلَامَ)[240] .

فهذا مما توعد اللهY به أهل الفرقة وما ذاك إلا لسوء فعلهم وفي هذا نهي عن الفرقة وردع عن سلوك سبلها أو السير خلف دعاتها ويتعين حينها لزوم الجماعة والتمسك بها [241]هدانا اللهY للحق وبصرنا به(آمين) .

المطلب الثاني: اسباب التفرق

اسباب التفرق كثيرة ابرزها التالي:

اولاً :الجهل

لقد حث الله تعالى على العلم وبين منزلة العلماء والثواب العظيم عند الله قال تعالى: چ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي چ[242] . وذم الله تعالى الجهل وحذر منه وبّين أنه سبب إعراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين وأن الناس لجهلهم كذبوا بهم يقول تعالى مخبراً عن قول نوح υ لقومه: چ ٱ ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ [243] ، وذكر سبحانه أن الجهل هو الذي دفع قوم لوطυ لعمل جريمتهم البشعة من اللواط، يقول تعالى:

---

238 المصدر السابق، برقم(1849)3/ 1478.

239 المصدر السابق ، برقم (1851) 3/ 1478.

240 **حلية الأولياء وطبقات الأصفياءأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت ، 1409هـ ، 280/1.**

241 ينظر: موقف الصحابة من الفرقة والفرق، د.أسماء بنت سليمان بن عبدالرحمن ،ص134– 138.

242 المجادلة: ١١.

243 هود: ٢٩.

چ ٻ ٻ ٻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ چ[244] ،والجهل أيضا يدفع الناس للشرك بالله قال تعالى عن موسى υوقومه :چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[245] .

ويعتبر ظهور الجهل وانتشاره من علامات قرب وقوع الساعة ففي الحديث عن

رسول الله ρقال: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا، يُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ) وَالهَرْجُ: القَتْلُ[246] ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا)[247].

فرتب ρعلى قلة العلم ورفعه وظهور الجهل وكثرته كثرة وقوع المحرمات وانتهاكها ومن أعظمها القتل وهو الهرج وهذا القتل الذي يقع هو: بين المسلمين بعضهم البعض وهو دليل على تفرقهم ففي الحديث عن أَبُو مُوسَى، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ρ: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ لَهَرْجًا) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: "الْقَتْلُ، الْقَتْلُ" فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: (لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ) فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: (لَا، تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنْ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ")، ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَرِيُّ: وَايْمُ اللَّهِ، إِنِّي لَأَظُنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ، وَايْمُ اللَّهِ، مَا لِي

---

[244] النمل: ٥٥.

[245] الأعراف: ١٣٨.

[246] **صحيح البخاري**، كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ ظُهُورِ الفِتَنِ، **برقم(7064) 9/ 48**، صحيح مسلم، كتاب الْعِلْمِ، بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، برقم (2672) 4/ 2056.

[247] **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ رَفْعِ العِلْمِ وَظُهُورِ الجَهْلِ،**برقم(80)1/ 27**، مسلم، كتاب الْعِلْمِ، بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، برقم(2671) 4/ 2056.

وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ إِنْ أَدْرَكَتْنَا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ρ، إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ منها كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا[248].

وهذا الجهل الذي أخبر عنه رسول الله ρأنه سيقع في الأمة وأنه سيكون من أسباب تفرقها هو جهل بأمرين: الجهل بعلوم الشريعة، ـ الجهل باللغة العربية.

فالجهل بعلوم الشريعة تبين لما علم الصحابة رضوان الله عليهم خطورة الجهل على مستوى الفرد وعلى الجماعة حرصوا على تعليم الناس أمور دينهم وعلى تلقين أبنائهم أصول الاعتقاد وتوصيتهم بالتمسك بالسنة، فكان عبدالله بن مسعود τيوصي الناس بتعلم العلم فيقول: (عليك بالعلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله أو قال أصحابه)[249] ، إذ الجهل خطر عظيم يقود الناس إلى البدعة والإحداث في الدين والسير على غير هدى وخير مثال على ذلك ما حدث وعبدالله بن مسعود حاضر، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: (خَرَجَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى الْجَبَّانَةِ يَتَعَبَّدُونَ، وَاتَّخَذُوا مَسْجِدًا وَبَنَوْا بُنْيَانًا، فَأَتَاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَقَدْ سَرَّنَا أَنْ تَزُورَنَا، قَالَ: مَا أَتَيْتُكُمْ زَائِرًا، وَلَسْتُ بِالَّذِي أَتْرُكُ حَتَّى يُهْدَمَ مَسْجِدُ الْجَبَّانِ، إِنَّكُمْ لأَهْدَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ρ؟ ! أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ النَّاسَ صَنَعُوا كَمَا صَنَعْتُمْ مَنْ كَانَ يُجَاهِدُ الْعَدُوَّ، وَمَنْ كَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمَنْ كَانَ يُقِيمُ الْحُدُودَ؟ ! ارْجِعُوا فَتَعَلَّمُوا مِمَّنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، وَعَلِّمُوا مَنْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ مِنْهُمْ.

---

[248] مسند الإمام أحمد بن حنبل، ، برقم (19492) 241/32، ورواه ابن ماجة ، (واللفظ له) أَبْوَابُ الْفِتَنِ ، بَابُ التَّثَبُّتِ فِي الْفِتْنَةِ، برقم (3959) 5/ 106وما بعدها، و المستدرك على الصحيحين للحاكم ، برقم (8587) 4/ 565 ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

[249] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي ، 1/ 87 ،الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان الْعُكْبري المعروف بابن َبطة العكبري (المتوفى: 387هـ)، تحقيق : عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، دار الراية للنشر – السعودية، ط/2، 1418هـ، 333/1، البدع والنهي عنها، محمد بن وضاح القرطبي، تحقيق: محمد أحمد دهمان،دار الصفا القاهرة،ط/1411،1هـ ـــ1990م، ص 25، السنة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج الْمَرْوزي (المتوفى: 294هـ) تحقيق : سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط/1، 1408هـ ، ص 24وما بعدها.

قَالَ: وَاسْتَرْجَعَ فَمَا بَرِحَ حَتَّى قَلَعَ أَبْنِيَتَهُمْ وَرَدَّهُمْ)[250].
لقد عزا ابن مسعود τما فعلوه إلى الجهل إذ أمرهم بالتعلم فقال: ارْجِعُوا فَتَعَلَّمُوا مِمَّنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكُمْ.
وهذا ما فقهه ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وأن أشد ما يفرق الأمة ويوقع بينها الاختلاف هو الجهل بدينها فقد (خَلَا عُمَرُ ـ τ ـ ذَاتَ يَوْمٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ: كَيْفَ تَخْتَلِفُ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَنَبِيُّهَا وَاحِدٌ؟ فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ فَقَالَ: كَيْفَ تَخْتَلِفُ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَنَبِيُّهَا وَاحِدٌ وَقِبْلَتُهَا وَاحِدَةٌ ـ زَادَ سَعِيدٌ وَكِتَابُهَا وَاحِدٌ ـ قَالَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ فَقَرَأْنَاهُ، وَعَلِمْنَا فِيمَا أُنْزِلَ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَنَا أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يَدْرُونَ فِيمَا نَزَلَ، فَيَكُونُ لَهُمْ فِيهِ رَأْيٌ، فَإِنْ كَانَ لَهُمْ فِيهِ رَأْيٌ اخْتَلَفُوا، وَقَالَ سَعِيدٌ: فَيَكُونُ لِكُلِّ قَوْمٍ فِيهِ رَأْيٌ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ اخْتَلَفُوا، وَقَالَ سَعِيدٌ فَيَكُونُ لِكُلِّ قَوْمٍ فِيهِ رَأْيٌ اخْتَلَفُوا فَإِذَا اخْتَلَفُوا اقْتَتَلُوا. قَالَ: فَزَجَرَهُ عُمَرُ وَانْتَهَرَهُ عَلِيٌّ فَانْصَرَفَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَنَظَرَ عُمَرُ فِيمَا قَالَ فَعَرَفَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ مَا قُلْتَهُ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ، فَعَرَفَ عُمَرُ قَوْلَهُ وَأَعْجَبَهُ. وَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ هُوَ الْحَقُّ، فَإِنَّهُ إِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ فِيمَا نَزَلَتِ الْآيَةُ أَوِ السُّورَةُ عَرَفَ مَخْرَجَهَا وَتَأْوِيلَهَا وَمَا قُصِدَ بِهَا، فَلَمْ يَتَعَدَّ ذَلِكَ فِيهَا، وَإِذَا جَهِلَ فِيمَا أُنْزِلَتِ احْتَمَلَ النَّظَرُ فِيهَا أَوْجُهًا. فَذَهَبَ كُلُّ إِنْسَانٍ مَذْهَبًا لَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْآخَرُ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنَ الرُّسُوخِ فِي الْعِلْمِ مَا يَهْدِيهِمْ إِلَى الصَّوَابِ، أَوْ يَقِفُ بِهِمْ دُونَ اقْتِحَامِ حِمَى الْمُشْكِلَاتِ، فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْأَخْذِ بِبَادِي الرَّأْيِ، أَوِ التَّأْوِيلِ بِالتَّخَرُّصِ الَّذِي لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا، إِذْ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)[251] .
لذلك كان على المجتهد المتصدر للتعليم والفتيا العلم بعلوم الشريعة المتضمن العلم بكتاب الله تعالى وما يلحق به من معرفة أحكامه ومعانيه وفرضه وأدبه

---

[250] **شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط/2، 1403هـ - 1983م**،كِتَابُ الإِمَارَةِ وَالْقَضَاءِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى مَا يُكْرَهُ مِنَ الأَمِيرِ وَلُزُومُ الجَمَاعَةِ، **برقم** (2462) **10/ 54 وما بعدها.**

[251] **الاعتصام، الشاطبي ، 2/ 691وما بعدها.**

وإرشاده وإباحته ناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه[252] ، وعليه أيضا العلم بالسنة النبوية دراية ورواية [253]، وكذلك عليه العلم بالإجماع والقياس يقول الإمام الشافعي:(أنْ ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حلَّ ولا حرُم إلا من جهة العلم. وجهةُ العلم الخبرُ: في الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس ، .... ،فالواجبُ على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا.وقد تكلم في العلم مَن لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساكُ أولى به، وأقربَ من السلامة له إن شاء الله) [254].

ومن العلم بعلوم الشريعة العلم بمقاصدها وقواعدها الكلية[255]، ولقد نبه رسول الله ρ إلى ذلك وأخبر أن الأمة ستبتلى بمن يدعي العلم وليس له حظ منه إلا حفظ النصوص دون فهم لمعانيها ، واستيعاب لها أو معرفة بمقاصد الشريعة وقواعدها ومتى صدر ـ من هذا شأنه ـ وترأس حدثت الفتنة ووقعت الفرقة يقول النبي ρ واصفا الخوارج[256] : (إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ[257] هَذَا، أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا

---

[252] **الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، تحقيق: أحمد شاكر،: مكتبه الحلبي، مصر، ط/1، 1358هـ/1940م، ص509.**

[253] ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، برقم(100) 94/1، جامع بيان العلم وفضله ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)،تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط/1، 1414ه ـ 1994م ، 2/ 1129، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)،مؤسسة الرّيان للطباعة والنشر والتوزيع، ط/2، 1423هـ-2002م،ص190 .

[254] **الرسالة،ص 34.**

[255] روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، ابن قدامة، ص190، **الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط/1، 1417هـ ـــ 1997م، 70/1،**

[256] ان شاء الله تعالى ، سنتناول هذه الفرقة في ج2 من هذا الكتاب.

[257] الضئضئ أصل الشَّيْء والعقب وَقيل نَسْله، ينظر: **مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل**

قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ)[258]

ولقد تربى الصحابة رضي الله عنهم على يد نبينا محمد ρعلى تلقي النصوص وفهمها واستيعابها والعمل بها، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ρ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[259]، (فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُم ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا)[260]، وأورَدَ الحاكمُ مِن رِوايةِ عبدِ اللهِ بنِ عُمرَ خبرًا يُوضِّحُ هذه المعاني، فيقولُ: (لقد عِشْنا بُرهةً مِن دَهْرِنا، وإنَّ أحدَنا يُؤْتَى الإيمانَ قبلَ القُرآنِ، وتنزِلُ السُّورةُ على محمَّدٍ ρ، فيتَعلَّمُ حلالَها وحَرامَها، وما ينْبَغي أنْ يُوقَفَ عندَه فيها كما تَعلَّمونَ أنتم القُرآنَ)، ثمَّ قال: لقد رأيْتُ رِجالًا يُؤْتَى أحدُهم القُرآنَ، فيقرَأُ ما بين فاتحتِه إلى خاتمتِه ما يَدري ما أمْرُه ولا زاجِرُه، ولا ما ينْبَغي أنْ يُوقَفَ عنده منه، ينثُرُه نثْرَ الدَّقَلِ[261])[262]

(المتوفى: 544هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث، 2/ 55، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)،3/ 69، لسان العرب، ابن منظور ، 1/ 110.

[258] **صحيح البخاري**، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ Y: چ ي ي ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ چ (الحاقة: ٦)، **برقم (3344) 4/ 137**، ورواه مسلم بلفظ(إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ، أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ) كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، برقم (1064)2/ 741، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

[259] **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري ، 2/ 629.**

[260] **سنن ابن ماجه**، بَابٌ فِي الْإِيمَانِ **برقم(61)1/ 42.**

[261] الدَّقَلُ بِفَتْحَتَيْنِ وهو الرَّديءُ مِن التَّمرِ وما لا فائدةَ فيه ينظر:
مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)
دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/2، 1406 هـ - 1986 م،ص 330، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: 488هـ)، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة – مصر، ط/1، 1415 – 1995، ص 51، الفائق في غريب الحديث والأثر ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، ط/2،2/ 4، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي

ومَرَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ τ بِرَجُلٍ يَقُصُّ فَقَالَ (أَعَرَفْتَ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ؟) قَالَ: لَا قَالَ: (هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ)[263] .

فيجب على العلماء أن يلموا بعلوم الشريعة وأن يجمعوا الأمة بذلك ومتى ما اختل هذا الأمر وتصدر الناس ورأسهم من يدعي العلم وهو في الحقيقة جاهل بشيء مما مضى فهنا تقع الفتنة في الأمة والاختلاف في الدين ويصاب المجتمع المسلم بالفرقة.

ولقد أخبرنا رسول الله ρبوقوع هذا الأمر وحذرنا من ذلك ففي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)[264]

ويبين الشاطبي أن من أسباب الفرقة: ترأس الجهلة، وأن الاختلاف المؤدي للفرقة لا يصدر أبدا من العلماء الراسخين في العلم فيقول: فَاعْلَمُوا أَنَّ الِاخْتِلَافَ فِي بَعْضِ الْقَوَاعِدِ الْكُلِّيَّةِ لَا يَقَعُ فِي الْعَادِيَّاتِ الْجَارِيَةِ بَيْنَ الْمُتَبَحِّرِينَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ الْخَائِضِينَ فِي لُجَّتِهَا الْعُظْمَى، الْعَالِمَيْنِ بِمَوَارِدِهَا وَمَصَادِرِهَا.. ثم يذكر.

أن الاختلاف المؤدي للفرقة والذي يلقي العداوة بين المسلمين إنما يقع حينما:

الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، ، المكتبة العلمية – بيروت 1/ 197، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: 986هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط/3، 1387 هـ - 1967م، 2 / 191.

[262] **المستدرك على الصحيحين، برقم((101)1/ 91، وقال:** (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ).

[263] **العلم، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي (المتوفى: 234هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي – بيروت، ط/2، 1403 – 1983، ص 31، الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، ط/1، ، 1408هـ ، ص 49,**

[264] **صحيح البخاري،** كِتَابُ العِلْمِ،بَابٌ: كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ، **برقم(100) 1/ 31،** ومسلم، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، برقم(2673) 4/ 2058.

يَعْتَقِدَ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ أَوْ يُعْتَقَدَ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الدِّينِ ـ وَلَمْ يَبْلُغْ تِلْكَ الدَّرَجَةَ ـ فَيَعْمَلُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَعُدُّ رَأْيَهُ رَأْيًا وَخِلَافُهُ خِلَافًا، وَلَكِنْ تَارَةً يَكُونُ ذَلِكَ فِي جُزْئِيٍّ وَفَرْعٍ مِنَ الْفُرُوعِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي كُلِّ أَصْلٍ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ ـ كَانَ مِنَ الْأُصُولِ الِاعْتِقَادِيَّةِ أَوْ مِنَ الْأُصُولِ الْعَمَلِيَّةِ ـ فَتَارَةً آخِذًا بِبَعْضِ جُزْئِيَّاتِ الشَّرِيعَةِ فِي هَدْمِ كُلِّيَّاتِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مِنْهَا مَا ظَهَرَ لَهُ بَادِيَ رَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ بِمَعَانِيهَا وَلَا رُسُوخٍ فِي فَهْمِ مَقَاصِدِهَا، وَهَذَا هُوَ الْمُبْتَدَعُ، وَعَلَيْهِ نَبَّهَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ[265] المذكور آنفاً.

ولقد جاء التحذير من ترؤس الجهلة على لسان رسول الله ρوأخبر أن ذلك من أشراط الساعة ،عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ اللَّخْمِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ρ قَالَ: (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثَةً: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَلْتَمِسَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ)[266].

والتماس العلم عند الأصاغر لا يكون إلا بترأسهم وتصدرهم للفتيا من جهة، وذهاب العلماء الراسخين أو تنحيتهم من جهة أخرى[267]، يقول عمر بن الخطاب τ: (أَلَا إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ عَنْ أَكَابِرِهِمْ)[268] وقال : (قَدْ عَلِمْتُ مَتَى صَلَاحُ النَّاسِ وَمَتَى فَسَادُهُمْ إِذَا جَاءَ الْفِقْهُ مِنْ قِبَلِ الصَّغِيرِ اسْتَعْصَى عَلَيْهِ الْكَبِيرُ وَإِذَا جَاءَ الْفِقْهُ مِنْ قِبَلِ الْكَبِيرِ تَابَعَهُ الصَّغِيرُ فَاهْتَدَيَا)[269]، وقال ابن مسعود َτ: (لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ

---

265 **الاعتصام، 2/ 680.**

266 رواه الطبراني في: المعجم الكبير، 22/ 361 شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، اللالكائي، برقم (102) 95/1 .

267 ينظر: **الاعتصام، 2/ 796.**

268 **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، برقم(1054)1/ 615.

269 المصدر السابق ، برقم(1055) 1/ 615

أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ρ وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ أَصَاغِرِهِمْ[270] فَذَلِكَ حِينَ هَلَكُوا)[271] .

ولقد جاءت نصوص أخرى تحذر من ترؤس هؤلاء الجهلة وتصدرهم لقيادة الأمة إذ بذلك تجتلب المحن والفتن على المسلمين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ (سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ" قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: (الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ)[272].

إن ترؤس هؤلاء الأصاغر إضاعة للأمانة مؤذن بقرب قيام الساعة ففي الحديث عن رسول الله ρ حينما سأله أعرابي: متى الساعة؟ قال ρ: ((فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)) ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: ((إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)) [(273)].

يقول ابن حجر: أَنَّ إِسْنَادَ الْأَمْرِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ غَلَبَةِ الْجَهْلِ وَرَفْعِ الْعِلْمِ وَذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْرَاطِ وَمُقْتَضَاهُ أَنَّ الْعِلْمَ مَا دَامَ قَائِمًا فَفِي الْأَمْرِ فُسْحَةٌ وَكَأَنَّ الْمُصَنِّفَ أَشَارَ إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ إِنَّمَا يُؤْخَذُ عَنِ الْأَكَابِرِ[(274)] .

---

[270] المراد بالاصاغر الجهلة الذين يقولون برأيهم وبغير فقه في الكتاب والسنة فيضلون ويضلون وأهل البدع أصاغر في العلم، وقيل لِلذي يُستَفتَى وَلا عِلْمَ عِنْدَهُ. ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي، 1/ 95، جامع بيان العلم وفضله، أبن عبد البر (المتوفى: 463هـ)، 612/1، الاعتصام، الشاطبي (2/ 682، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط/1، 1415 هـ - 1995 م، 2/ 309.

[271] **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي ،برقم(101)1/ 94، جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، برقم(1060) 1/ 617.

[272] مسند الإمام أحمد بن حنبل، برقم(7912) 13/ 291، سنن ابن ماجه،أَبْوَابُ الْفِتَنِ، بَابُ شِدَّةِ الزَّمَانِ، برقم(4035) 5/ 162، (واللفظ له) ، المستدرك على الصحيحين، الحاكم، برقم(8439)4/ 512وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، البداية النهاية، ابن كثير ، 19/ 277.

[(273)] رواه البخاري من حديث ابي هريرة ، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ سُئِلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ، فَأَتَمَّ الحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ، برقم (59) 1/ 21 .

[(274)] فتح الباري شرح صحيح البخاري 1/ 143.

ويلاحظ على أهل البدع ورؤسائهم المفرقين للأمة شيعا واحزاباً، انهم بعيدين عن استيعاب علوم الشريعة جاهلين بفهم معانيها ومعرفة قواعدها ومقاصدها معرضين عن تتبع سنة رسول الله ρ وسنة أهل بيته و الصحابة رضي الله عنهم وهذا ما أوقعهم في الاختلاف والفرقة [275] ،ويبوب الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر في بَابٌ فِيمَنْ تَأَوَّلَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَهُ وَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ قَالَ أَبُو عُمَرَ: «أَهْلُ الْبِدَعِ أَجْمَعُ أَضْرَبُوا عَنِ السُّنَّةِ وَتَأَوَّلُوا الْكِتَابَ عَلَى غَيْرِ مَا بَيَّنَتِ السُّنَّةُ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُذْلَانِ وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالْعِصْمَةَ بِرَحْمَتِهِ[276] .

ولجهل أهل البدع يلاحظ عليهم عند مناظرتهم للعالمين بقول الله وقول رسولهρ ينقطعون ويحيدون في المناظرة بالمنقول من الكتاب والسنة ويقرون على أنفسهم بذلك وأنهم إنما يجيدون الرأي والنظر والقياس فهذا بشر المريسي، لما ناظر الإمام عبدالعزيز بن يحيى الكناني في مسألة خلق القرآن التي يدعيها بشر وكانت المناظرة بحضرة الخليفة العباسي (المأمون) أظهر بشر من الجهل بالقرآن والسنة الشيء الكثير ولما حاد عن المناظرة بنص التنزيل قال: عندي أشياء كثيرة إلا أنه (أي الإمام عبدالعزيز الكناني) يقول بنص التنزيل وأنا أقول بالنظر والقياس فليدع مناظرتي بنص التنزيل ولينا ظرني بغيره [277].

وعلى هذا يتبين :

---

[275] ينظر: خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية – الرياض، ص 76. .

[276] جامع بيان العلم 1199/2، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) ،تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط/1، 1382 هـ - 1963 م، 2/ 23 .

[277] الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (المتوفى: 240هـ)، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط/2، 1423هـ/2002م، ص50 .

1- إن من الجهل: عدم العمل بالعلم، ولقد ذم الله سبحانه علماء السوء الذين يقولون ما لا يعملون فقال سبحانه وتعالى چ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے چ [278]

لذلك كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على العمل الذي علموه يخافون من السؤال يوم القيامة يقول أبو الدرداء τ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ عَلَى الْحِسَابِ أَنْ يُقَالَ لِي: قَدْ عَلِمْتَ فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟) [279] ، ويوصينا τفيقول: (لَا تَكُونُ تَقِيًّا حَتَّى تَكُونَ عَالِمًا وَلَا تَكُونُ بِالْعِلْمِ جَمِيلًا حَتَّى تَكُونَ بِهِ عَامِلًا) [280] .

ويقول ابن مسعود τ: (تَعَلَّمُوا، تَعَلَّمُوا، فَإِذَا عَلِمْتُمْ، فَاعْمَلُوا) [281] .

ويقول الشاطبي: (العلم المعتبر شرعا ـ أعني الذي مدح اللهI ورسولهρ أهله على الإطلاق ـ هو العلم الباعث على العمل الذي لا يخلي صاحبه جاريا مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه الحامل له على قوانينه طوعا أو كرها[282] .

2- إن من الجهل: عدم فهم الدليل ووضعه في غير موضعه وهذا نتيجة قصور العلم لذلك وصف رسول الله ρ الخوارج بأنهم ((يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، - أَوْ حَنَاجِرَهُمْ -)) [283] .

---

[278] البقرة: ٤٤.

[279] المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ)،تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض،ط/1، 1409، كِتَابُ الزُّهْدِ، كَلَامُ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (34598) 112/7.

[280] جامع بيان العلم ، لابن عبد البر، بَابُ جَامِعِ الْقَوْلِ فِي الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ، برقم (1239)1/ 698.

[281] سنن الدارمي، كتاب العلم، بابُ: التَّوْبيخِ لِمَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهَ، برقم (378) 1/ 374 ، المصنف في الأحاديث والآثار، ابن ابي شيبة ، كِتَابُ الزُّهْدِ، كَلَامُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،برقم (34547) 105/7.

[282] الموافقات للشاطبي ، 1/ 89 .

[283] رواه البخاري، كِتَابُ اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ قَتْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، برقم (6931) 16/9 ، صحيح مسلم ، كِتَابُ الْكُسُوفِ ،بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ برقم (1064) 743/2 ، من حديث ابي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ τ.

3- من الجهل: المنازعة في المسألة قبل استكمال العلم وإحكامه وجمع حواشيه وأطرافه ، فيظن المسلم أنه بقراءته للقرآن قد استكمل العلم فيذهب للمنازعة وإنكار ما يجهله فلقد أنكرت أم يعقوب على عبدالله بن مسعود لعنه للواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، قالت له: ما هذا؟ قال: (ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ρ في كتاب الله) قالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته فقال: والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه. چ ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں چ.[284]

لذلك أرشدنا رسول الله ρ إلى ما يفعله المسلم عند الجهل ببعض العلم فقال: ((فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاعْمَلُوا بِهِ ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ، فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ)) [285] .

4- إن من الجهل: أن ينكر الإنسان ما يجهله وما غاب عن علمه خاصة إذا كان مع المخالف فيقع منه التكذيب ببعض الحق ومن الجهل أن يرد بعض الحق الذي يكون مع مخالفه إذا كان مختلطا بالباطل فيؤدي هذا الرد إلى الاختلاف والنزاع [286].

5- إن من الجهل: الانشغال والاهتمام بالعلوم الدنيوية التي يتحصل المسلم بها على وظيفة ودخل ويكون انشغاله على حساب تعلمه أمور دينه الأساسية فكثيرا ما نجد من المسلمين من بلغ مراتب عالية في العلوم الدنيوية ولكنه قليل العلم في أمور دينه حتى لا يكاد يفرق بين أركان الصلاة وواجباتها فضلا عن مستحباتها فيكون بذلك لقمة سائغة وبيئة خصبة لتقبل البدع ونشرها إذ لا حصانة لديه من العلم الشرعي الصحيح.

لهذا يجب على ولاة الأمر والمربين الحرص على تزويد المناهج الدراسية بالعلوم الشرعية الكفيلة بتزويد المسلم كفايته وحاجته مع تعليمهم العلوم الدنيوية فلا تعارض البتة بين الأمرين[287] .

6- إن من الجهل: تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص بدون بعض أو الزعم بالاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية.

---

[284] الحشر: من الآية: ٧.

[285] رواه احمد ، برقم (6703) 305/11.

[286] شرح الطحاوية ،187/1.

[287] شرح اصول اهل السنة والجماعة للالكاني 1/ 26، جامع بيان العلم 2/ 1135 .

يقول الشاطبي: (ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد والجهل بمقاصد الشرع وعدم ضم أطرافه بعضها لبضع فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها وعامها المرتب على خاصها.. .. إلى أن قال: فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضا كأعضاء الإنسان.. وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما؛ أي دليل كان عفوا وأخذاً، وإن كان ثم ما يعارضه من كلي أو جزئي فكأن العضو الواحد لا يعطي في مفهوم أحكام الشريعة حكما حقيقيا فمتبعه متبع متشابه ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ كما شهد الله به) [288]،

وينبغي للمسلم أن يتنبه إلى مخططات أعداء الدين الموجهة للمسلمين من محاولتهم تجزئة الشريعة والحد من العمل بها وتعطيل بعض أحكامها لإضعاف المجتمع المسلم ومحاولتهم الدائمة لتشكيك الناس في السنة النبوية في محاولة النفاذ إلى الجذرية التاريخية العملية للإسلام وإمعان النظر في وضع خطة لسياسة جديدة وعلم توحيد جديد وفلسفة جديدة ومجتمع جديد على أساس من القرآن من غير إضافة من التراث مهما كانت.

ولقد علم أعداء الدين أهمية العلم الشرعي في بقاء الأمة المسلمة وقوتها وعلموا أيضا خطورة الجهل وكيف أنه أقوى سلاح لتفريق هذه الأمة ومن ثم السيطرة عليها فعمدوا جاهدين إلى نشر الجهل بالدين الإسلامي بين صفوف أبنائه ومحاولة فصل المسلم عن دينه ثم استغلال المسلمين الجهلاء لبث مخططاتهم الاحتلالية ولمد نفوذهم على ثروات المسلمين بل وعقولهم.

ولقد سلكوا وسائل عدة لتحقيق هدفهم من نشر الجهل بين المسلمين منها:

أ- استفادوا من فترة احتلالهم لبلاد المسلمين بالتدخل في المناهج التعليمية، ومحاولة إحلال المنهج الغربي - كما يدعون - مكان المناهج الإسلامية في البلاد المحتلة.

ب- عملوا على محاولة استبعاد دراسة القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي في البرامج التعليمية العامة ، العمل على تشويه عقائد المسلمين وإثارة الشكوك والشبهات حولها [289] ، عبر وسائل التربية والتعليم من جهة

---

[288] الاعتصام ، ص311 وما بعدها.

[289] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير - الاستِشراق - الاستعمار ، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى : 1425هـ)، دار القلم – دمشق،ط/8 ، 1420 هـ - 2000 م،

وعبر وسائل الإعلام من جهة أخرى وكم خدم المستأجرون والمندسون والمنافقون والجهلاء أعداء الدين في تحقيق أهدافه ، مساندة الحركات الهدامة التي تظهر بصورة الإسلام والإسلام منها براء. ولم يقتصر أعداء الدين من نشر الجهل بالدين الإسلامي وتعزيز وجوده بل عمدوا أيضا إلى محاولة تجهيل المسلمين بلغة دينهم لغة القرآن الكريم: (اللغة العربية).

ت- فالجهل باللغة العربية يؤدي إلى سوء فهم نصوص الشريعة ومن ثم تعدد الآراء وتفرقها هو الجهل باللغة العربية لذا عد تعلم اللغة العربية من العلوم الواجب على المجتهد معرفتها إذ علم اللغة العربية علم لا يحصل الاجتهاد في الشريعة إلا بالاجتهاد فيه ،فالمجتهد لا بد مضطر إليه [290].

ث- يقول الإمام ابن عبد البر: (وَمِمَّا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى فَهْمِ الْحَدِيثِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْعَوْنِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ Y وَهُوَ الْعِلْمُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَمَوَاقِعِ كَلَامِهَا وَسَعَةِ لُغَتِهَا وَأَشْعَارِهَا وَمَجَازِهَا وَعُمُومِ لَفْظِ مُخَاطَبَتِهَا وَخُصُوصِهِ وَسَائِرِ مَذَاهِبِهَا لِمَنْ قَدَرَ فَهُوَ شَيْءٌ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ρيَكْتُبُ إِلَى الْآفَاقِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا السُّنَّةَ وَالْفَرَائِضَ وَاللَّحْنَ يَعْنِي النَّحْوَ كَمَا يُتَعَلَّمُ الْقُرْآنُ)[291].

ج- ولقد كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يضرب ولده على اللحن [292] ، وما ذاك إلا لأن القرآن الكريم إنما نزل بلسان العرب على الجملة وطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة [293] وكثيرا ما يقع الخطأ والاشتباه في فهم النصوص الشرعية بسبب الجهل بلسان العرب يقول الإمام الشافعي: (... إن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره: لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة

ص44، 75 ، 198، 225، 249، دراسات في السنة النبوية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة العاشرة - العدد الثالث- 1397هـ - 1977م ، 159.

[290] ينظر:الموافقات للشاطبي ، 5/ 52.

[291] جامع بيان العلم وفضله ، بَابُ رُتَبِ الطَّلَبِ وَكَشْفِ الْمَذْهَبِ ،برقم (2222)1139/2 .

[292] المصدر السابق، بَابُ رُتَبِ الطَّلَبِ وَكَشْفِ الْمَذْهَبِ ،برقم(2229) 2/ 1133.

[293] الموافقات 2/ 319، الرسالة للامام الشافعي ،ص42.

وجوهه وجماع معانيه وتفرقها ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها [294].

ح- يذكر الشاطبي: وكم من شبهة دخلت على أهل الفرقة والبدعة لجهلهم بلسان العرب ولقد عد الإمام الشاطبي من المآخذ التي تؤخذ على أهل البدع والتي تعد من سماتهم: تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين مع العُرُوّ عن علم العربية الذي يفهم به عن الله Yورسولهρ: فيفتاتون على الشريعة بما فهموا ويخالفون الراسخين في العلم وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط وليس كذلك كما حكي عن بعضهم أنه سئل عن قول الله Y: چ ڤ ڤ ڤ چ [295]، فقال: هو هذا الصرصر، يعني صرار الليل ثم يذكر أمثلة كثيرة تبين جهلهم بالعربية ثم قال: (فمثل الاستدلالات لا يعبأ بها وتسقط مكالمة أهلها.... إذ هو خروج عن طريقة كلام العرب إلى اتباع الهوى فحق ما حكي عن عمر بن الخطاب τ حيث قال: إنما هذا القران كلام فضعوه مواضعه ولا تتبعوا به أهواءكم ، أي : فضعوه على مواضع الكلام ولا تخرجوه عن ذلك فإنه خروج عن طريقه المستقيم إلى اتباع الهوى.

خ- وعن الحسن أنه قيل له: أرأيت الرجل يتعلم العربية ليقيم بها لسانه ويقيم بها منطقة؟ قال: نعم ! فليتعلمها، فإن الرجل يقرأ بالآية فيعياه توجيهها فيهلك. وعنه أيضا قال: أهلكتكم العجمة تتأولون القرآن على غير تأويله [296] ، ويقول الشاطبي أيضا : (ولعلك إذا استقريت أهل البدع المتكلمين أو أكثرهم وجدتهم من أبناء سبايا الأمم ومن ليس له أصالة باللسان العربي، فعما قريب يفهم كتاب الله على غير وجهه)[297] ، ولقد أظهر بشر المريسي القائل بخلق القرآن من جهله باللغة العربية ما أظهره عند مناظرته للإمام عبدالعزيز الكناني في أكثر من موضع، كان جهله بالعربية من أسباب قوله بخلق القرآن. حتى قال الإمام عبدالعزيز عنه: (وإنما دخل الجهل على بشر ومن قال بقوله لأنهم ليسوا من العرب ولا علم لهم بلغة العرب ومعاني كلامها، فتأول القرآن على لغة العجم التي

---

[294] الرسالة ، ص50.

[295] آل عمران: من الآية: ١١٧.

[296] الاعتصام للشاطبي، ص 191–193. .

[297] المصدر السابق، ص 447،،57 .

لا تفقه ما تقول وإنها تتكلم بالشيء كما يجري على لسانها وكل كلامهم ينقض بعضه بعضا، ولا يعتقدون ذلك من أنفسهم ولا يعتقده عليهم غيرهم لكثرة خطئهم ولحنهم وادعائهم لذلك وسمعت عبد الملك بن قريب الأصمعي وقد سأله رجل فقال له: أتدغم الفاء في الباء؟ فتبسم الأصمعي ـ وقبض على يدي وكان لي إلفاً صديقا ـ فقال: أما تسمع يا أبا محمد ؟ ثم أقبل على السائل وهو متعجب من مسألته فقال: يا هذا أتدغم الفاء في الباء في لغة ماني الساساني .. فأما العرب فلا تعرف هذا[298] .

د- ثانياً : **الابتداع وعدم الاتباع**

ذ-إن من أعظم ما فرق الأمة الإسلامية وأوهن جسدها: الابتداع في دين الله تعالى، إذ لو فتح الباب لكل إنسان أن يقول في الدين برأيه، وأن يحدث في الشرع ما يستحسنه بذوقه لتفرقت سبل الضلالات بالجماعة المسلمة ـ وهي الآن كذلك ـلذلك نهينا عن اتباع السبل وأمرنا باتباع الصراط المستقيم كما يقول الله سبحانه وتعالى: چ چ چ چ چ چچ چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ[299]

ر-ولقد عنون الإمام الآجري الباب الأول من كتابه كتاب (الشريعة) : (باب : ذكر الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة بل الاتباع وترك الابتداع [300]

ز-) .، فهو يرى أنه بلزوم الجماعة يكون الاتباع وإن الفرقة تكون بالابتداع في دين الله.

ولقد جاء الأمر الأكيد بطاعة الله وطاعة رسوله ρ والتحذير من الإحداث في الدين الذي لا يكون إحداثا إلا بترك سنة الرسول ρ، يقول الله سبحانه: چ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ییی چ[301]

س- ويقول سبحانه: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[302].

ش- وحذر ρ من الإحداث في الدين فيقول: ((وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)) [303] وقال ρ: ((إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ

---

[298] ينظر : الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن،للكناني ، ص 43.

[299] الأنعام: ١٥٣ .

[300] الشريعة، الآجُرِّيُّ ، 1/ 270 ·

[301] النساء: من الآية:٥٩ .

[302] الأحزاب: ٣٦ .

وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ)) [304]. والهنات جمع هنة: والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة [305] . فالبدع والمحدثات تفرق الأمة المسلمة وفي حديث آخر بين ρأن في ترك سنته واتباع البدع تفريق للجماعة فيقول حذيفة بن اليمان τ: ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ρعَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ)) قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: ((قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: ((هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)) قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: ((تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)) قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: ((فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)) [306] فذكر ρ من الأحوال التي ستحدث أنه سيأتي أقوام يهدون بغير هديه ويستنون بغير سنته وذكر ρ الدعاة على أبواب جهنم وهم من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال كالخوارج .

وكأن حذيفة τ فهم أن الأحوال السابقة من ترك السنة والعمل بالبدعة والدعوة إليها، كفيل بتمزيق الجماعة المسلمة لذلك سأل لما أمره ρ بلزوم الجماعة وفي حديث آخر يبين ρ أن هذه البدع وهذا أن هذه البدع وهذا الإحداث في

---

[303] رواه ابو داود (واللظ له) ، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ برقم (4607) 200/4 والترمذي ، أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ بابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ برقم (2676) 341/4، وابن ماجه ، باب اجتناب البدع والجدل برقم (46) 18/1 واحمد برقم (17145) 28/ 375 .

[304] رواه مسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ ،بَابُ حُكْمِ مَنْ فَرَّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ، برقم (1852) 3/ 1479 من حديث عَرْفَجَةَ .

[305] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي،241/12 .

[306] رواه البخاري ، كِتَابُ الفِتَنِ، بَابٌ: كَيْفَ الأَمْرُ إِذَا لَمْ تَكُنْ جَمَاعَةٌ، برقم (7084) 9/ 51، ومسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر برقم(1847)1475/3.

الدين يفرق الأمة المسلمة ويوقعها في الاضطراب فتهتز السلطة والقيادة، والذي من شأنه أن يريق دماء المسلمين لذلك أوصانا ρبالسمع والطاعة على من تولى أمر المسلمين واجتمعت عليه كلمتهم ولو عبدا حبشيا ما دام أنه يسير بهم بكتاب الله تعالى فالعلاج الوحيد لما ستقع فيه الأمة ـ وهي واقعة الآن فيه ـ من الاختلاف والفرقة هو اتباع سنة الرسول ρ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده والابتعاد عن هذه الضلالات المفرقة للجماعة فعن العرباض بن سارية τ قال : ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ρذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: ((عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)) [307] ولخطورة البدعة يحذرنا منها ρ وينهانا عنها فيقول: ((إياكم والبدع)) [308]

وليعلم أن الافتراق من لوازم البدعة والفرقة من سمات أصحابها يقول سبحانه وتعالى: چ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ چ[309]. قال قتادة: يعني أهل البدع [310] .

يقول الشاطبي: (وَالْفُرْقَةُ مِنْ أَخَسِّ أَوْصَافِ الْمُبْتَدِعَةِ، لِأَنَّهُ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ وَبَايَنَ جَمَاعَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ)[311] .

ولقد جاء الحكم صريحا فيمن أحدث في الدين فقال ρ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ)) [312] ،أي: مردود عليه غير مقبول، لما في هذا الإحداث

---

[307] رواه ابو داود ، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، برقم (4607) 200/4، والترمذي ، أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ، برقم (2676) 4/ 341 وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وابن ماجه ، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، برقم (42) 15/1،واحمد، برقم (17145) 375/28.

[308] السنة، لابن الضحاك الشيباني،، برقم (34) 20/1

[309] آل عمران: ١٠٥ .

[310] الاعتصام للشاطبي 75.

[311] الاعتصام 150.

من خطر بالغ على الدين يقول الإمام ابن القيم: ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها (أي للبدع) ، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد، [313] .

ووصايا الصحابة كثيرة متضافرة تأمر بالاتباع وتحذر من الابتداع ولقد سار من بعدهم على نهجهم من التحذير من البدع فأفردوا مصنفات خاصة تأمر بالاتباع ولزوم السنة وتحذر من البدع لخطورتها. حتى لو عدت البدعة بسيطة أو بدا الإحداث في الدين صغيراً، أو كان أمرا فرعياً ميسوراً، فإن لهذا خطره ويجب الحذر منه والنهي عنه.

يقول الإمام البربهاري: (واحذر صغار المحدثات من الأمور فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيرا يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع المخرج منها فعظمت وصارت دينا يدان بها فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي ρأو أحد من العلماء فإن أصبت فيه أثرا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء ولا تختر عليه شيئا فتسقط في النار)[314] .

إن هذا التحذير من البدعة والهلاك الذي يحيط بصاحبها ليس فقط لخطورة البدعة على الفرد بل لخطورتها على الأمة وتقويضها لأركان الدين، ولقد أدرك أعداء الدين خطورة البدع وأهميتها في تفريق الجماعة المسلمة وزعزعة العقيدة الإسلامية التي توحد المسلمين وتجمعهم فعملوا على إشعال

---

[312] رواه البخاري ، كِتَابُ الصُّلْحِ، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، برقم (2697) 184/3، ومسلم ، كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ برقم (1718) 1343/3.

[313] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/3، 1416 هـ - 1996م، 1/ 378.

[314] شرح السنة، الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام،ط/1، 1408، ص23 .

البدع بين المسلمين ومساندتها ورعايتها فما خرجت السبئية إلا من أحضان اليهودية، وما ضل جهم بن صفوان إلا بعد مناقشته للسمنية[315]

وما زال أعداء الإسلام يواصلون طريقهم في محاولات جادة لإضلال المسلمين وصدهم عن دينهم بالتشكيك في السنة النبوية والطعن في شخصية الرسول ρ وإثارة الشبهات حولها [316].

وما يقوم به المستشرقون من العمل على إخراج كتب البدع وتحقيقها ونشرها بدعوى إحياء التراث الإسلامي وما نشرت كتب الفلسفة وكتب أهل البدع إلا تحت مسمى حرية الفكر والعقل.

أخيراً: إنه لا حياة للمسلمين ولا قوة لهم ولا نصر إلا باتباعهم كتاب الله وسنة رسول الله ρ وأن يقتدوا بآل البيت (عليهم السلام) بالصحابة رضي الله عنهم في موقفهم منهما تسليماً وانقياداً واتباعاً وعلى المسلم أن يوقن أن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ρ وأن شر الأمور محدثاتها فهذا يدحر كل بدعة، يقول ابن القيم: فَإِنَّ السُّنَّةَ بِالذَّاتِ تَمْحَقُ الْبِدْعَةَ، وَلَا تَقُومُ لَهَا، وَإِذَا طَلَعَتْ شَمْسُهَا فِي قَلْبِ الْعَبْدِ قَطَعَتْ مِنْ قَلْبِهِ ضَبَابَ كُلِّ بِدْعَةٍ، وَأَزَالَتْ ظُلْمَةَ كُلِّ ضَلَالَةٍ، إِذْ لَا سُلْطَانَ لِلظُّلْمَةِ مَعَ سُلْطَانِ الشَّمْسِ، وَلَا يَرَى الْعَبْدُ الْفَرْقَ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ، وَيُعِينُهُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ ظُلْمَتِهَا إِلَى نُورِ السُّنَّةِ، إِلَّا الْمُتَابَعَةُ، وَالْهِجْرَةُ بِقَلْبِهِ كُلَّ وَقْتٍ إِلَى اللَّهِ، بِالِاسْتِعَانَةِ وَالْإِخْلَاصِ، وَصِدْقِ اللَّجْإِ إِلَى اللَّهِ، وَالْهِجْرَةِ إِلَى رَسُولِهِ، بِالْحِرْصِ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَهَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ، عَنْ عُمَرَ τ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ: ((الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))[317]

---

(315) السُّمَنِيَّةُ، مِنْ فَلَاسِفَةِ الْهِنْدِ، الَّذِينَ يُنْكِرُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا سِوَى الْحِسِّيَّاتِ، ، ينظر: شرح الطحاوية ،1/ 351.

(316) صراع الغرب مع الاسلام ،أصف حسين ،ترجمة مازن صلاح مطبقاني ، مركز الفكر المعاصر ، دار الوعي للنشروالتوزيع ، الرياض ، ط/1، 1434هـ ـ 2013م، 92، 115 .

(317) صحيح البخاري ، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابٌ: مَا جَاءَ إِنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالحِسْبَةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، ، برقم (54) 20/1 ، ومسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ ، بَابُ قَوْلِهِ ρ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ» ، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، برقم (1907) 1515/3.

فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ حَظُّهُ وَنَصِيبُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.[318].

ثالثاً : تقديم الرأي على قول الله وقول رسوله ρ

مسلك أهل السنة أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوا بمعقول ولا قول فلان. فهذه طريقة أهل البدع في تلقي النصوص وهم كما وصفهم الفاروق عمر τ أنهم أعداء السنن ويبين τ سبب هذا العداء بين أهل الفرقة والبدعة وبين السنة فيقول: أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم [319].

وفي رواية أخرى: أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلّوا وأضلوا[320] .

لذلك اشتد نكير أهل السنة (كما قال ابن أبي العز الحنفي) على أصحاب الرأي لهذا المنهج السقيم الذي يهدم الدين ويفرق بين المسلمين يقول عبد الله بن مسعود τ مبيناً خطورة تقديم الرأي على النص: لا يأتي عليكم زمان إلا وهو أشر مما كان قبله أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاً ويجيء قوم يفتون برأيهم وفي لفظ آخر: وما ذاك بكثرة الأمطار وقلتها، ولكن بذهاب العلماء ثم يحدث قوم يفتون في الأمور برأيهم فيثلمون الإسلام ويهدمونه [321].

ويبين الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة أن منهج أهل السنة المقدّم لنصوص الوحي على كل قول هو الذي يجمع المسلمين بخلاف منهج أهل الرأي والكلام المقدّم لهما على قول الله وقول رسولهρ فيقول: ولو أردنا رحمك الله أن ننتقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام ونرغب فيهم لخرجنا

---

[318] مدارج السالكين ، ص379، الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني – جدة، ص52.

[319] شرح العقيدة الطحاوية 498، 500 إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت،ط/1، 1411هـ - 1991م،1/ 44).

[320] اعلام الموقعين ،44/1.

[321] فتح الباري لابن حجر ، 21/13،جامع بيان العلم، برقم(2007)، 1042/2 .

من اجتماع إلى تشتت وعن نظام إلى تفرق وعن أنس إلى وحشة وعن اتفاق إلى اختلاف لأن أصحاب الحديث كلهم مجمعون... لا يختلفون في هذه الأصول[322]

لقد أنكر الصحابة الكرام على من رد حديث رسول الله ρوعارضه برأيه إذ الأمر من الله بالتسليم لقول الله I وقول رسولهρ، والنهي عن التقدم بين يدي الله Yورسولهρ، والنهي عن رفع الصوت فوق صوت النبي ρ، يقول الله I: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [323] ، ويقول Y: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[324].

يقول ابن القيم:(فَإِذَا كَانَ رَفْعُ أَصْوَاتِهِمْ فَوْقَ صَوْتِهِ سَبَبًا لِحُبُوطِ أَعْمَالِهِمْ فَكَيْفَ تَقْدِيمُ آرَائِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَأَذْوَاقِهِمْ وَسِيَاسَاتِهِمْ وَمَعَارِفِهِمْ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ وَرَفْعُهَا عَلَيْهِ؟ أَلَيْسَ هَذَا أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مُحْبِطًا لِأَعْمَالِهِمْ)[325]. ويقول: لذلك لم يكن الصحابة رضي الله عنهم يعارضون نصوص الوحي بالرأي بل كانت النصوص أجلّ في صدورهم وأعظم في قلوبهم من أن يعارضوها بقول أحد من الناس ولكنهم كانوا يستشكلون بعض النصوص ويوردون استشكالاتهم على النبي ρ فيجيبهم عليها وكانوا يسألونه عن الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض ولم يكن أحد منهم يورد عليه معقولاً يعارض النص ألبتة ولا عرف فيهم أحد – وهم أكمل الأمة عقولاً – عارض نصاً بعقله [326].

يقول علي بن أبي طالب υ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ [327] .

---

[322] تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق،ط/2، 1419هـ - 1999م، ، ص64.

[323] الحجرات: ١ .

[324] الحجرات: ٢.

[325] إعلام الموقعين، 41/1.

[326] ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط/1، 1408هـ، 1052/3.

[327] إعلام الموقعين 46/1.

لذلك كان منهج الصحابة رضي الله عنهم في الفتيا أنه إذا عرضت لأحدهم مسألة وسئل عنها نظر فإن كانت في الكتاب والسنة قضى وإن لم يجد فيها قولاً سأل من هو أعلم منه هل عندك علم من كتاب أو سنة؟ فإن لم يجد جمع أهل العلم واستشارهم فإن اجتمع رأيهم على شيء قضى به [328] .

وهذا الرأي الذي يصير إليه الصحابة عند عدم وجود النص هو من الرأي المباح إذ الرأي على ثلاثة أقسام [329] .

القسم الأول: رأي يعين على فهم الكتاب والسنة ورد الأصول إلى الفروع وإلحاق النظير بنظيره وهذا هو الرأي الصحيح الحق الذي لا مندوحة عنه لأحد من المجتهدين.

ولقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما يوصيه ويقول: اعرف الأشباه والأمثال وقسْ الأمور[330] .

القسم الثاني: الرأي الذي يصار إليه إذا تعذر أن يجد حكماً للواقعة في الكتاب وفي السنة ولم يقل به أحد من الصحابة فحينها يجتهد العالم رأيه. وهذا النوع هو موضع الاشتباه والذي سوّغ الصحابة العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه، حيث لا يوجد منه بُد، وهذا الرأي لا نعلم مخالفته للكتاب والسنة ولا موافقته لهما فغايته أنه يسوغ العمل به عند الحاجة إليه، من غير إلزام للعمل به ولا إنكار على من خالفه.

لقي عمر بن الخطاب رجلاً فقال له ما صنعت؟ قال: قضى علي وزيد بكذا، فقال لو كنت أنا لقضيت بكذا. قال فما منعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو سنة نبيه ρ لفعلت، ولكني أردك إلى رأي والرأي مشترك. فلم ينقض ما قال عليυ وزيدτ[331] .

فهذا هو المنهج وهذا هو الأدب واحترام الرأي الآخر إن كان رأياً بشرياً مشتركاً لا يعارض نصاً شرعياً فيحترم هذا الرأي ولا يسفّه ولا يحقّر قائله أو ينقص منه وإن كان مخالف لذلك لم يكن الصحابة يصوّبون آرائهم ويقطعون بأنها الحق [332] .

---

[328] إعلام الموقعين ، 1/ 57.

[329] إعلام الموقعين ،1/ 53ــ 85، اذ بسط ابن القيم الحديث عنها .

[330] إعلام الموقعين،1/50.

[331] إعلام الموقعين،1/52.

[332] إعلام الموقعين ،1/ 51.

أما إن كان الرأي يخالف نصاً من كتاب أو سنة فلا هوادة في دين الله ولا حرية لهذا الرأي بل هو رأي مذموم مردود، والمعوّل والمقدّم هو قول الله وقول رسولهρ وهو الحق.

القسم الثالث: الرأي المذموم وهو باطل بلا ريب وليس من الدين وهو ما جاءت النصوص بذمه والنهي عنه، وهو ما عابه السلف ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به وهو أنواع وعلى درجات منها:

الرأي المخالف للنص وهو أعظمها جرماً وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه ولا تحل الفتيا به وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد.

الكلام في الدين بالخرص والظن مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها.

الرأي المبتدع وهي البدع المخالفة للسنن.

من الرأي المذموم: الانشغال بحفظ المعضلات والأغلوطات ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياساً دون ردها على أصولها والنظر في عللها واعتبارها أو استعمل فيها الرأي قبل أن تنزل وفرعت وشققت قبل أن تقع...[333]

رابعاً :الجدل والخصومات في الدين، والتأويل الفاسد

إن من العثرات التي وقع فيها أهل الفرقة والشقاق، ومن الثمرات المرة التي جنوها:

ما وقعوا فيه من جدل وخصومات في الدين، وما جنوه من التأويل الفاسد للنصوص.، حيث ان الجدل والخصومات في الدين اي الجدل المنهي عنه وهو الكلام فيما لم يؤذن في الكلام فيه كالكلام في المتشابهات من الصفات والأفعال وغيرهما وكمتشابهات القرآن فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ρهَذِهِ الآيَةَ:: چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ

[333] موقف الصحابة من الفرقة والفرق د. أسماء بنت سليمان بن عبدالرحمن ، ص222.

ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [334] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: ((فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ)) [335]

ولقد جاء القرآن ذاماً أهل البدع أصحاب الفرقة المتبعين للمتشابه الذين يجادلون فيه بغير علم ولا هدى بل يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله.

يقول الله I: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [336].

وفي آية أخرى يذم الله I حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل الذين يتركون ما أنزل الله على رسولهρ ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع والأهواء والآراء يقول الله Ψ: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ [337].

وفي الحديث عن رسول الله ρ قال: ((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ)) ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [338].

خامساً : الغلو في الدين، وردود الأفعال

لقد جاء الإسلام آمرا بالاعتدال والاقتصاد والوسطية في كل أمر، حتى ميزت هذه الأمة وخصت بذلك، قال سبحانه وتعالى : ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [339]

---

(334) آل عمران: ٧ .

(335) رواه البخاري ، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ **آل عمران:من الآية: 7**، برقم (4547) 33/6 ومسلم ، كتاب الْعِلْمِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ، برقم (2665) 2053/4.

(336) غافر: ٥٦.

(337) الحج: ٣ .

(338) الزخرف: ٥٨ ، والحديث رواه الترمذي ، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الزُّخْرُفِ برقم (3253) 5/ 333 ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ حَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ وَحَجَّاجٌ ثِقَةٌ مُقَارِبُ الحَدِيثِ. وابن ماجه، بَابُ اجْتِنَابِ الْبِدَعِ وَالْجَدَلِ، برقم (48) 19/1 واحمد، رقم(22164)493/36، تفسير الطبري ، 629/21.

(339) البقرة: من الآية: ١٤٣ .

وقال سبحانه آمرا بالاستقامة والاعتدال، ناهيا عن الغلو والطغيان: چڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ککک گ گ گ گ چ [340].

وحذرنا رسول الله ρ من الغلو ومجاوزة الحد المشروع لنا، فقال ρ ناهيا عن الغلو، مبينا أنه سبب هلاك من قبلنا: ((وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)) [341]. وقال ρ : ((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)) قَالَهَا ثَلَاثًا[342]، فبين ρ أن هذا المتنطع الغالي المتعمق، المجاوز للحد في قوله وفعله [343] .

ويقول Ψ في شأن أهل الكتاب ناهيا إياهم عن الغلو: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ[344].

ويقول I: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ [345]

ويبين الإمام الطحاوي اعتدال هذا الدين وبعده عن الغلو فيقول: (وَدِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: چ ج ج ج چ چ چ چ ڇ [346]، **وَقَالَ تَعَالَى:** چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ [347]

وَهُوَ بَيْنَ (الْغُلُوِّ وَ) التَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ [348] وبملاحظة أقوال الفرق المبتدعة التي فرقت الأمة بذلك

---

[340] هود: ١١٢ .

[341] المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)،تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة،الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب،ط/2، 1406 – 1986، كِتَابُ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، بَابُ: الْتِقَاطِ الْحَصَى ، برقم(3057) 268/5، سنن ابن ماجه ، كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ قَدْرِ، حَصَى الرَّمْيِ، برقم(3029)1008/2.

[342] رواه مسلم ، كتاب الْعِلْمِ، بَابُ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ، برقم(2670)2055/4).

[343] شرح صحيح مسلم 16/ 220.

[344] النساء: ١٧١ .

[345] المائدة: ٧٧ .

[346] آل عمران: من الآية ١٩

[347] المائدة: من الآية: ٣.

يجدها خرجت بسبب الغلو والتقصير، فالمعطلة غلوا في التنزيه وقصروا في الإثبات، والمشبهة غلوا في الإثبات وقصروا في التنزيه، وكلاهما أخذ ببعض النصوص وترك بعضا، والحق في الاعتدال والجمع بين النصوص.

أما الخوارج فغلوا في إثبات الأعمال وعدها من الإيمان حتى كفروا المسلمين بمجرد المعصية، وقابلهم المرجئة فغلوا حتى أخرجوا العمل من الإيمان . فكان الغلو في ردود الأفعال سببا لأن ترد البدعة ببدعة والباطل بباطل.

يقول الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة: ولما رأى قوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء في القدر، وكثر بينهم التنازع حمل البغض لهم واللجاج على أن قابلوا غلوهم بغلو، وعارضوا إفراطهم بإفراط، فقالوا بمذهب جهم في الجبر [349] .

ويقول ابن أبي العز الحنفي: (فَصَارَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا - يُقَابِلُونَ الْبِدْعَةَ بِالْبِدْعَةِ، أُولَئِكَ غَلَوْا فِي عَلِيٍّ، وَأُولَئِكَ كَفَّرُوهُ ! وَأُولَئِكَ غَلَوْا فِي الْوَعِيدِ، حَتَّى خَلَّدُوا بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأُولَئِكَ غَلَوْا فِي الْوَعْدِ حَتَّى نَفَوْا بَعْضَ الْوَعِيدِ أَعْنِي الْمُرْجِئَةَ !

وَأُولَئِكَ غَلَوْا فِي التَّنْزِيهِ حَتَّى نَفَوُا الصِّفَاتِ، وَهَؤُلَاءِ غَلَوْا فِي الْإِثْبَاتِ، حَتَّى وَقَعُوا فِي التَّشْبِيهِ ! وَصَارُوا يَبْتَدِعُونَ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْمَسَائِلِ مَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ، وَيُعْرِضُونَ عَنِ الْأَمْرِ الْمَشْرُوعِ، وَفِيهِمْ مَنِ اسْتَعَانَ عَلَى ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْأَوَائِلِ: الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالصَّابِئِينَ، فَإِنَّهُمْ قَرَءُوا كُتُبَهُمْ، فَصَارَ عِنْدَهُمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ مَا أَدْخَلُوهُ فِي مَسَائِلِهِمْ وَدَلَائِلِهِمْ، وَغَيَّرُوهُ فِي اللَّفْظِ تَارَةً، وَفِي الْمَعْنَى أُخْرَى ! فَلَبَّسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَكَتَمُوا حَقًّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ، فَتَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا وَتَكَلَّمُوا حِينَئِذٍ فِي الْجِسْمِ وَالْعَرَضِ وَالتَّجْسِيمِ، نَفْيًا وَإِثْبَاتًا.

وَسَبَبُ ضَلَالِ هَذِهِ الْفِرَقِ وَأَمْثَالِهِمْ عُدُولُهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ [350]،وَقَالَ تَعَالَى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﭼ [351]فَوَحَّدَ لَفْظَ (

---

[348] شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، لابن أبي العز الحنفي ، ص 347، وسطية أهل السنة بين الفرق ، محمد با كريم محمد با عبد الله، دار الراية للنشر والتوزيع،ط/1، 1415هـ-1994م، ص303.

[349] الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)،تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية،ط/1، 1412 هـ - 1991 م ، ص20 ،22، 40–42.

[350] الأنعام: ١٥٣.

[351] يوسف: من الآية: ١٠٨.

صِرَاطِهِ) وَ (سَبِيلِهِ)، وَجَمَعَ (السُّبُلَ) الْمُخَالِفَةَ لَهُ.) [352] .

من الخطأ إذاً: أن ترد البدعة ببدعة، وينقض الباطل بباطل مثله، إنما المنهج في الرد على أهل البدع ، هو اتباع الحق في أن لا يوافق المبطل على باطل أصلاً، ولا يدفع بباطل أصلاً فيلزم المؤمن الحق، وهو ما بعث الله به رسوله ρ، ولا يخرج عنه إلى باطل يخالفه: لا موافقة لمن قاله، ولا معارضة بالباطل لمن قال باطلاً.

حيث أن رد الباطل بباطل، والبدعة ببدعة من طرق استزلال الشيطان لبني آدم[353]

سادساً : التعصب المذهبي والطائفي، والتقليد للرجال، وتقديم أقوالهم على قول الله ورسوله ρ

إن من أسباب الفرقة ما يقع فيه بعض المسلمين من الغلو والتعصب في الأشخاص، والتقليد الأعمى لأقوالهم وتقديمها على قول الله وقول رسوله ρ، وهذا مما حذرنا الله تعالى منه، وأمرنا أن نعتبر بحال أهل الكتاب الذين غلوا في عيسى عليه السلام، وتعصبوا له ولأتباعه فأدى بهم ذلك إلى انحرافهم عن الصراط المستقيم، يقول الله سبحانه وتعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ [354]

يقول ابن كثير: فينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، ولهذا قال تعالى: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ چ[355]

---

[352] شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ص353.

[353] موقف الصحابة من الفرقة والفرق د. أسماء بنت سليمان بن عبدالرحمن ، ص224 ، وسطية أهل السنة بين الفرق ، محمد با كريم محمد با عبد الله،ص305.

[354] النساء: ١٧١ .

[355] التوبة: ٣١.

ويقول سبحانه وتعالى مبينا سبب ضلال القوم وسبب هذا الغلو: چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ چ[356].

ومعنى الآية: أَيْ: لَا تُجَاوِزُوا الْحَدَّ فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَلَا تُطْرُوا مَنْ أُمِرْتُمْ بِتَعْظِيمِهِ فَتُبَالِغُوا فِيهِ، حَتَّى تُخْرِجُوهُ عَنْ حَيِّزِ النُّبُوَّةِ إِلَى مَقَامِ الْإِلَهِيَّةِ،. . وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِاقْتِدَائِكُمْ بِشُيُوخِ الضَّلَالِ، الَّذِينَ هُمْ سَلَفُكُمْ مِمَّنْ ضَلَّ قَدِيمًا، ، وَخَرَجُوا عَنْ طَرِيقِ الِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْتِدَالِ، إِلَى طَرِيقِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ[357].

ولقد جاء النهي من رسول الله ρعن المبالغة في المدح والثناء أو رفع الإنسان فوق منزلته، إذ لما جاءه وفد بني عامر قالوا له: أنت سيدنا، فقال: ((السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا **يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**)) [358].

ولقد عد الإمام الشاطبي: أن التصميم على اتباع العوائد – وهي اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ وأشباه ذلك، وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق – عده من أسباب الاختلاف والفرقة، وهذا هو التقليد المذموم الذي ذم الله Ψ متبعيه حينما قالوا: چ ئى ئد ى ى ي يج [359] ثم قال: قَالَ چ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ[360] فنبههم على وجه الدليل الواضح، لكنهم استمسكوا بمجرد تقليد الآباء [361].

وهذا التقليد المذموم والتعصب الأعمى قد جر ويلات كثيرة على الأمة المسلمة، وأوجب أنواعا من الفساد كثيرة ، منها: "التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويعاديه، ويحب بعضا ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن، والهمز، واللمز. وببعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض، وهذا كله من

---

(356) المائدة: ٧٧ .

(357) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)3/ 159.

(358) رواه ابو داود، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ التَّمَادُحِ ،برقم (4806) 254/4.

(359) الزخرف: ٢٢ .

(360) الزخرف: ٢٤.

(361) الاعتصام،ص 689.

أعظم الأمور التي حرمها اللهI ورسولهρ، والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله [362].

سابعاً : التنازع على السلطة والملك وحب الرئاسة والظهور والبغي

أخبرنا الله Ψ عن أهل الكتاب واختلافهم، وكشف لنا سبحانه عن سبب تفرقهم مع ما عندهم من العلم الذي كان يجب أن يجمعهم، ويحسم الخلاف الذي وقعوا فيه، ولكنهم حقيقة اختلفوا عن علم، وتفرقوا عن عمد، وما ذاك إلا لبغي بعضهم على بعض، يقول الله I: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ [363] ، وقال Y: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ[364].

قال أبو العالية عن قوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ بغيًا على الدنيا، وطلبَ ملكها وسلطانها، فقتل بعضهم بعضًا على الدنيا، من بعد ما كانوا علماءَ الناس [365].

وقال الطبري في معناه: (أنهم أتوا ما أتوا من الباطل على علم منهم بخطأ ما قالوه، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلا منهم، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه تعديا من بعضهم على بعض، وطلب الرياسات والملك والسلطان)[366] .

فالذي فرق أهل الكتاب هو تنازعهم على السلطة والملك، وحب الرئاسة والظهور والسعي لحصول ذلك ولو بظلم الناس وأخذ أموالهم وقطع رقابهم [367]

ولقد حذر عثمان بن عفان τمن ذلك، فقال في آخَرُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا فِي جَمَاعَةٍ (إِنَّ اللَّهَ إِنَّما أَعْطَاكُمُ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ، وَلَمْ يُعْطِكُمُوهَا لِتَرْكَنُوا إِلَيْهَا، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَإِنَّ الْآخِرَةَ تَبْقَى، لَا تُبْطِرَنَّكُمُ الْفَانِيَةُ، وَلَا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ

---

[362] موقف الصحابة من الفرقة والفرق د. أسماء بنت سليمان بن عبدالرحمن ص 248–251.

[363] آل عمران: ١٩.

[364] الشورى: ١٤.

[365] جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير الطبري 6/ 277 .

[366] جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير الطبري ،6/ 277 .

[367] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، 44/4، فتح القدير للشوكاني ، 376/1.

فَإِنَّ تَقْوَاهُ جُنَّةٌ مِنْ بَأْسِهِ، وَوَسِيلَةٌ عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ الْغِيَرَ، وَالْزَمُوا جَمَاعَتَكُمْ لَا تَصِيرُوا أَحْزَابًا[368] .

إن التهالك على الدنيا والسعي الحثيث للحصول على المناصب والرئاسة فيها مذموم، إذ يطبع صاحبه على الحسد، والشح ويدفع ساعيه لظلم الناس ليتحقق مطلوبه، والفساد لا يظهر في البلاد والعباد إذا صدر هذا العمل من فئتين من الناس (المفترض فيهم الإصلاح والإخلاص) فإن صدر من الأمراء، وصدر من العلماء وقعت البلية، وعمت الرزية، وتمكن العدو من المسلمين لأن ولاتهم من العلماء والأمراء في شغل شاغل لتحقيق مصالحهم ومطامعهم. فتقع الفرقة في كيان الأمة لأن المصلحين من العلماء والأمراء متفرقون فيما بينهم، مختلفون في مصالحهم فكيف يجمعون الأمة ويسعون لإصلاح الناس؟ ! إن فاقد الشيء لا يعطيه.

لذلك جاء التحذير الشديد من الرسول الرحيم ρ لما سمعت الأنصار بقدوم مال من البحرين تعرضوا لرسول الله ρ بعد صلاة الفجر، فتبسم ρ ثم قال: ((أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟)) ، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ))[369]

ولقد أخبر ρ بوقوع ذلك في هذه الأمة ففي حديث آخر قال: ((إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟)) قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: ((أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ))[370] .

ولقد رتبت الأمور بعضها على بعض في الحديث ، إذ الأمر يأتي بالتدريج، قال النووي: (قال العلماء التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكراهية أخذ

---

[368] ينظر:البداية والنهاية لابن كثير 7/ 241 .

[369] رواه البخاري، كِتَابُ الجِزْيَةِ ،بَابُ الجِزْيَةِ وَالمُوَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ، برقم (3158) 4/96 ، ومسلم ، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، برقم (2961) 4/ 2273 وفي رواية : ((وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ)) رواه البخاري ، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهَرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا، برقم (6435) 8/ 90 ومسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، برقم (2961) 4/ 2273.

[370] رواه مسلم ، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، برقم (2962) 4/ 2274 .

غيرك إياه، وهو أول درجات الحسد، أما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن صاحبها، والتدابر: التقاطع وقد بقي مع التدابر شيء من المودة أو لا يكون مودة ولا بغض، أما التباغض فهو بعد هذا ولهذا رتبت في الحديث)[371] .

وأما قولهρ: ((.... ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ...)) أي ضعفائهم فيجعلون بعضهم أمراء على بعض[372] .

ولقد أخبر ρ أن هلاكا سيقع في الأمة عند تنازع ولاتها على الملك، ففي الحديث أنه قال: ((هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ))[373] .

والمراد بالغلمة هنا جمع غليم بالتصغير وهو الضعيف العقل والتدبير والدين، ولو كان محتلما [374].. فأخبر ρ أن ولايتهم هلاك للأمة، وذلك أنهم يهلكون الناس بسبب طلبهم الملك والقتال لأجله، فتفسد أحوال الناس، ويكثر الخبط بتوالي الفتن [375]

.ولقد جاء في وصف الخوارج أنهم (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام) ومن كان هذا وصفه حري به أن يسارع في الفتنة جهلا منه، مع ما قد يجتمع معه من حب الرئاسة والظهور، وهذا كان حال الخارجين على عثمان τ، المثيرين النزاع حول السلطة، المفرقين للأمة، إذ المتتبع لتراجم هؤلاء الخارجين على عثمان τ يجدهم ممن يوصف بالشجاعة والجرأة والإقدام، ومع حب الرئاسة والظهور، وليس بينهم من يوصف بالعلم والفقه [376] .

---

[371] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي ، 18/ 96.

[372] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي ، 18/ 96.

[373] رواه البخاري، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، برقم (3605) 4/ 199.

[374] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر،9/12.

[375] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، 10/13.

[376] ينظر:حاشية العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ρ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)،قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط/1، 1419هـ، ص109 – 115.

ومما يدل على أن الخارجين على عثمان τ كان سبب خروجهم طلب الرئاسة والملك، أنه لما بويع علي بن أبي طالب υ، واستقر له الأمر بعد وقعة الجمل، استعمل υعبد الله بن عباس على البصرة وبلغ ذلك مالكا الأشتر[377]

(وهو من الخارجين على عثمان) فغضب وقال: (علام قتلنا الشيخ) (بقصد عثمان) ؟ إذ اليمن لعبيد الله، والحجاز لقثم ، والبصرة لعبد الله، والكوفة لعلي[378].

بل إنهم صرحوا بأن خروجهم وشغبهم على عثمان كان طلبا للرئاسة، فقد كان هؤلاء النفر أثاروا الشغب والفتنة في الكوفة[379] ، إن إثارة الشغب والفتنة في الأمة، وظهور الخلافات السياسية بين ولاة أمر المسلمين من شأنه أن يضعف الدولة الإسلامية، ويشجع على ظهور الفرق المبتدعة، فسرعان ما تطل الفتنة برأسها، وترفع البدعة لوائها لتفرق الجماعة المسلمة، ففي الحديث عن رسول الله ρ أنه قال في وصف الخوارج : ((يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ)) قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: (أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ρ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ) [380] ولقد عاب الصحابة رضي الله عنهم التنازع على السلطة والتقاتل على الملك، فعن سعيد بن جبيرفقال خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَرَجَوْنَا أَنْ يُحَدِّثَنَا حَدِيثًا حَسَنًا، قَالَ: فَبَادَرَنَا إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدِّثْنَا عَنِ

---

(377) هو: مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن مالك بن النخع النخعي الكوفي المعروف بالأشتر (ت 71هـ)، تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط/1، ، 1326هـ، 11/10 ، الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط/15، 2002 م،1/ 58.

(378) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)،(صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، دار التراث – بيروت،ط/2، 1387 هـ، 492/4، حاشية العواصم من القواصم لمحب الدين الخطيب ص115.

(379) تاريخ الطبري ، 493/4.

(380) رواه البخاري ، كِتَابُ اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الخَوَارِجِ لِلتَّأَلُّفِ، وَأَنْ لاَ يَنْفِرَ النَّاسُ عَنْهُ برقم (6933) 17/9 ومسلم، كِتَابُ الْكُسُوفِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، برقم(1064) 2/ 744.

القِتَالِ فِي الفِتْنَةِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: چ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ [381] فَقَالَ: ((هَلْ تَدْرِي مَا الفِتْنَةُ، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ؟ إِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ρ يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ فِي دِينِهِمْ فِتْنَةً، وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى المُلْكِ)) [382] فالرجل أراد أن يحتج بالآية على مشروعية القتال في الفتنة التي تقع بين المسلمين ، والتي كان ابن عمر ترك القتال فيها، ولو ظهر أن إحدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلة، فأخبره عن الفتنة المأمور بالقتال فيها، وقوله: (وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى المُلْكِ) أَيْ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ يُشِيرُ إِلَى مَا وَقَعَ بَيْنَ مَرْوَانَ ثُمَّ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِهِ وَبَين بن الزبير وَمَا أشبه ذَلِك [383].

ولقد ذم أبو برزة الأسلميτ[384] ، وأنكر القتال على الملك ولطلب الدنيا فقال: (إِنِّي احْتَسَبْتُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أَصْبَحْتُ سَاخِطًا عَلَى أَحْيَاءِ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ العَرَبِ، كُنْتُمْ عَلَى الحَالِ الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنَ الذِّلَّةِ وَالقِلَّةِ وَالضَّلاَلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَنْقَذَكُمْ بِالإِسْلاَمِ وَبِمُحَمَّدٍ ρ، حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ ،وَهَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ، إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّأْمِ، وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنْ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا)) [385].

إن المنازعة على الملك والسلطة مذمومة لكل أحد، فما بالك إذا كانت المنازعة من قبل العلماء؟ ! .

---

[381] الأنفال: من الآية: ٣٩ .

[382] رواه البخاري، كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الفِتْنَةُ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ ، برقم(7095) 9/ 54 .

[383] فتح الباري لابن حجر، 47/13 .

[384] هو نضلة بن عبيد الأسلمي ، ابو برزة مشهور بكنيته صاحب النبيρ روى عدة احاديث ، توفي سنة 74هـ ، ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1، 1415 هـ، 6/ 341، سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ)،تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/3، 1405 هـ / 1985 م،40/3.

[385] رواه البخاري ، كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ إِذَا قَالَ عِنْدَ قَوْمٍ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ بِخِلاَفِهِ ،برقم(7112) 9/ 57، وينظر : فتح الباري لابن حجر، 73/13.

إن صلاح العلماء وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر صلاح للأمة، وبالمقابل فإن فسادهم وسوء نياتهم بلاء وفتنة للأمة، لذلك جاء الوعيد الشديد لمن طلب العلم بقصد الرئاسة والظهور، وكان همه الحصول على متاع دنيوي بهذا العلم الرباني، ففي الحديث عن رسول الله ρقال: ((مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ.)) [386].يقول الإمام الآجري محذرا من هذا المسلك: (مِمَّنْ طَلَبَهُ لِلْفَخْرِ وَالرِّيَاءِ وَالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ ، وَتَأَكَّلَ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ ، وَجَالَسَ بِهِ الْمُلُوكَ ، وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ ، لِيَنَالَ بِهِ الدُّنْيَا ، فَهُوَ يَنْسِبُ نَفْسَهُ إِلَى أَنَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَأَخْلَاقُهُ أَخْلَاقُ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ ، فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ ، لِسَانُهُ لِسَانُ الْعُلَمَاءِ ، وَعَمَلُهُ عَمَلُ السُّفَهَاءِ[387].

يقول عبد الله بن مسعود τ: (لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ ، وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ ، سَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ بَذَلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ ، فَهَانُوا عَلَى أَهْلِهَا [388].

ويبين معاذ بن جبل τ خطورة العلماء طلاب الرئاسة والدنيا فيقول فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُهُ (هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ، إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَأْخُذَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَيَقُولُ: مَا بَالُ النَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، فَيَقُولُ: مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتَدَعَ، فَإِنَّمَا ابْتَدَعَ ضَلَالَةً) [389] .

---

[386] رواه الترمذي ، أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ ،بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ يَطْلُبُ بِعِلْمِهِ الدُّنْيَا، برقم(2654) 329/4، وقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

[387] أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: 360هـ)،قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: إسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية،ص84.

[388] أخلاق العلماء للآجُرِّيّ،ص91.

[389] الشريعة،للآجُرِّيُّ البغدادي ،، بَابُ الْحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ρوَسُنَّةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَرْكِ الْبِدَعِ وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالْجِدَالِ فِيمَا يُخَالِفُ فِيهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَقَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، برقم (91) 1/ 406، ،وينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياءللأصبهاني ،1/ 233.

فهذا الرجل الجاهل الذي قرأ القرآن وتحلى بزي العلماء (وليس منهم) يبتدع في دين الله، ويضل عباد الله، كل ذلك طلبا للرئاسة وحب الظهور، فهذا الصنف من الناس من شأنه أن يفرق الأمة بما ينشر بينهم من بدع وضلالات.
وليس هذا فقط، بل من شأنه أن يسارع في كل فتنة ويخرج عن كل قول ومذهب؛ متى ما برقت الدنيا أمامه، ووعد بمنصب أو رئاسة [390] .
وصدق عبد الله بن المبارك حينما قال: وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا[391] .

ثامناً : الخروج عن طاعة أولي الأمر العلماء والأمراء

لقد أمر الله I بطاعة أولي الأمر، وعد ذلك من طاعته كما قال تعالى: چ ئۇ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى يي چ [392].
واختلف أهل التأويل في(أولي الأمر) الذين أمر الله عبادَه بطاعتهم في هذه الآية. (فقال بعضهم: هم الأمراء ، وقال آخرون: هم أصحاب محمد ρ، وقال آخرون: هم أهل الفقه والعلم[393] .
وَالظَّاهِرُ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ) أَنَّ الْآيَةَ فِي جَمِيعِ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ [394] .
يقول ابن قيم الجوزية مرجحا أن المراد بأولي الأمر: العلماء والأمراء: والقولان ثابتان عن الصحابة في تفسير الآية والصحيح أنها متناولة للصنفين جميعاً فإن العلماء والأمراء ولاة الأمر الذي بعث الله به رسوله، فان العلماء ولاته حفظا وبياناً وذباً عنه ورداً على من الحد فيه وزاغ عنه والأمراء ولاته قياماً وعناية وجهاداً وإلزاماً للناس به، وأخذهم على يد من خرج عنه. وهذان الصنفان هما الناس وسائر النوع الإنساني تبع لها ورعية [395].
ومتى ما اختل هذا الميزان وقعت الفرقة في الأمة، ودب الضعف في كيانها.
إن تنحية العلماء عن منصب الولاية والقيادة لايعني ذلك أن إمام المسلمين

---

[390] الاعتصام للشاطبي، 447ـ 449.
[391] شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لابن أبي العز الحنفي، ص122.
[392] النساء : من الآية: 59.
[393] تفسير الطبري 8/ 496، 501 ، الرسالة للشافعي ص 79، اخلاق العلماء للآجري ، ص20، السنة للمرزوي ص7.
[394] تفسير ابن كثير ،2/ 345.
[395] الرسالة التبوكية ، زاد المهاجر إلى ربه، ص41 وما بعدها .

والخليفة ينبغي ان يكون اعلم الناس ، لابل تجوز ولاية الرجل مع وجود من هو أعلم منه لكن يجب عليه لزوم مشورة العلماء الربانيين[396] ، والخروج عن قولهم ورأيهم خطر عظيم، وأمارة من أمارات الساعة، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: ((إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)) قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ))[397] .وَالْمُرَادُ مِنَ الْأَمْرِ جِنْسُ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ كَالْخِلَافَةِ وَالْإِمَارَةِ وَالْقَضَاءِ وَالْإِفْتَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ [398] .

ومعنى الحديث : قَالَ بن بَطَّالٍ: (مَعْنَى أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ أَنَّ الْأَئِمَّةَ قَدِ ائْتَمَنَهُمُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ وَفَرَضَ عَلَيْهِمُ النَّصِيحَةَ لَهُمْ فَيَنْبَغِي لَهُمْ تَوْلِيَةُ أَهْلِ الدِّينِ فَإِذَا قَلَّدُوا غَيْرَ أَهْلِ الدِّينِ فَقَدْ ضَيَّعُوا الْأَمَانَةَ الَّتِي قَلَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهَا) [399].

وقد يغفل بعض الناس عن أهمية طاعة العلماء، ويقللون من خطر الخروج عن مشورتهم، فنجد كثيرا من يتحدث عن وجوب طاعة الأمراء، وأهميته في تحقق الجماعة واستتباب الأمن في المجتمع، وهذا حق . . ولكنهم يغفلون عن أهمية طاعة العلماء، وحاجة الأمة كلها رؤساء وأمراء وعامة إليهم.

إن الخروج عن طاعة العلماء الربانيين، وترك مشورتهم مفسد للدنيا والآخرة، ولا يعني هذا تقديسهم أو التعصب لأقوال الرجال، ليس هذا إطلاقا، بل متى ما عارض قولهم قول اللهY ورسوله ρ رد ولم يقبل، فقولهم معتبر ورأيهم متبع لأنهم يتبعون ما جاء من ربهم ويبينونه للناس، يقول الإمام أحمد بن حنبل واصفا العلماء: (الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر

---

[396] ينظر : الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ)، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، ط/2، 1401هـ، ص32، ، الاصول والفروع ، ابو محمد علي بن احمدبن حزم الاندلسي (المتوفى456هـ)، دراسة وتحقيق: عبدالحق التركماني، مركز البحوث الإسلامية ـ السويد ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط/1، 1432هـ ـ 2011م ، 292/2.

[397] رواه البخاري ، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ رَفْعِ الأَمَانَةِ برقم(6496) 8/ 104.

[398] فتح الباري لابن حجر ، 11/ 334.

[399] المصدر نفسه .

الناس عليهم ،ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة)[400]

أما أولي الأمر من الأمراء فطاعتهم واجبة ما دام أنهم يحكمون بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ρ فالله سبحانه قال: چ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح چ [401] ، أما أولو الأمر فلا تجب طاعة أحدهم إلا إذا اندرجت تحت طاعة الرسول، لا طاعة مفردة مستقلة[402] .

فطاعة أولي الأمر إذاً ليست طاعة مفردة مستقلة، بل طاعتهم طاعة مستثناة فيما لهم وعليهم، واجبة لهم ما دام أنهم يحكمون بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ρ ،ففي الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ τ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: ((اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ)) [403] .

وفي حديث آخر عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، عَنِ النَّبِيِّ ρ، قَالَ: ((السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ)) [404].

ومن حديث آخر عَنْ عَلِيٍّ υ عن النبي ρ قال: ((إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ))[405]

وقال ρ: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ

---

[400] الرد على الجهمية والزنادقة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)،تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع،ط/1، (د.ت)،ص56.

[401] النساء: من الآية: ٥٩.

[402] الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه،لابن القيم ، ص.40 .

[403] رواه البخاري، كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، برقم (7142) 62/9 .

[404] رواه البخاري ، كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً برقم(7144) 63/9 ، ومسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ ،بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ برقم (1839) 1469/3.

[405] رواه البخاري، كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً برقم(7145) 63/9 ، و في رواية مسلم ، ((لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)) كِتَابُ الْإِمَارَةِ ،بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ برقم (1840)3/ 1469

وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ)) [406] .

وكان ما قاله ρ في حجة الوداع قوله: ((إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ)) ، حَسِبْتُهَا قَالَتْ ـ أَسْوَدُ (القائل في ذلك راوي الحديث عَنْ يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ الْحُصَيْنِ)، قَالَ: سَمِعْتُهَا تَقُولُ أنها سمعت رسول الله ρ يقول ذلك، ((يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا)) [407].

وفي هذه النصوص فوائد وأحكام منها:

1. وجوب طاعة الإمام وأن طاعته من طاعة رسول الله ρ.
2. إن من أطاع الأمراء ممتثلا أمر الله ورسوله فأجره على الله، أما إن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذ من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم، فما له في الآخرة من خلاق ، يقول الرسول ρ:((ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: ... وذكر منهم: ((وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ، إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ،)) [408] .
3. إن طاعة الإمام ليست طاعة مطلقة أو مستقلة، بل طاعتهم تكون ما أطاعوا الله Ψورسولهρ، فالطاعة في المعروف. وبالتالي: لا طاعة للإمام إذا أمر بمعصية الله تعالى، فيحرم على من كان قادرا على الامتناع عن طاعة الإمام إذا أمر بمعصية، تحرم عليه هذه الطاعة[409] .
4. إن على المؤمن أن يتقي الله، ولا تأخذه العزة بالإثم، وتأخذه الأنفة من أن يطيع وينقاد لمن ولي أمر المسلمين مهما كان شكله أو نسبه، ما دام أنه يحكم بكتاب الله تعالى.
5. إن وجوب طاعة الإمام ، والنهي عن الخروج عليه لا تعني المداهنة والمسايرة لهذا الإمام على حساب الدين، ولا تعني السكوت عن المنكر وتحسين فعل الإمام ، بل يجب إنكار المنكر، والأمر بالمعروف مع البقاء على

---

[406] رواه البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَاءِ الإِمَامِ وَيُتَّقَى بِهِ، برقم (2956) 50/4.

[407] رواه مسلم، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ اسْتِحْبَابِ رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ رَاكِبًا، وَبَيَانِ قَوْلِهِ ρ((لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ)) برقم(1298) 944/2.

[408] رواه البخاري ، كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابُ مَنْ بَايَعَ رَجُلًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا، برقم(7212) 79/9 من حديث(أَبِي هُرَيْرَةَ .

[409] فتح الباري لابن حجر ،123/13.

الطاعة العامة، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ρ، عَنِ النَّبِيِّ ρ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ))[410] ، وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ قَالَ: ((خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ)) ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: ((لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا **تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**))[411].

فمن كره ذلك المنكر فقد برئ من إثمه وعقوبته، وهذا في حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا لسانه، فليكرهه بقلبه وليبرأ ولا إثم عليه، أما الإثم والعقوبة فتكون على من رضي وتابع [412] .

وبين لنا رسول الله ρ متى يجوز الخروج على الإمام بالسيف وقتاله وخلعه ، إنها تكون في حالة واحدة في حال الكفر بالله Y، ففي الحديث عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: ((دَعَانَا النَّبِيُّ ρ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ))[413] .

قال النووي: (لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئا من قواعد الإسلام) [414] .

ويقول ابن حجر عن الوالي الكافر: (إِنَّهُ يَنْعَزِلُ بِالْكُفْرِ إِجْمَاعًا فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْقِيَامُ فِي ذَلِكَ فَمَنْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ فَلَهُ الثَّوَابُ وَمَنْ دَاهَنَ فَعَلَيْهِ الْإِثْمُ وَمَنْ عَجَزَ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ)[415] .

---

[410] رواه مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ وُجُوبِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْأُمَرَاءِ فِيمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ مَا صَلَّوْا، وَنَحْوِ ذَلِكَ، برقم(1854) 1481/3.

[411] رواه مسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ خِيَارِ الْأَئِمَّةِ وَشِرَارِهِمْ ،برقم (1855) 3/ 1481 .

[412] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، 243/12.

[413] رواه البخاري ، كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا برقم (7055) 47/9، ومسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، برقم (1709) 3/ 1470.

[414] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، 244/12.

[415] فتح الباري ، 123/13.

تاسعاً : التشنيع على أولي الأمر والتقول عليهم، وتأليب الناس ضدهم وتتبع زلاتهم والاحتجاج بها

إن من الأسباب التي تفرق الأمة المسلمة وتدعو للخروج على الجماعة وإمامها ما يفعله بعض المغرضين وأصحاب الأهواء، أو الجهال من التشنيع على أولي الأمر ولهم في ذلك طرق كثيرة منها:

التقول على أولي الأمر من علماء وأمراء، والكذب عليهم، ولهم في هذا أهداف.

محاولة تحقير أولي الأمر والحط من شأنهم بالاحتجاج بزلاتهم، والعمل على هتك سترهم وتصيد أخطائهم، وتضخيمها ونشرها، أو تأويل ما يقع حسب ما يهوون، ووفق ما يخدم مصالحهم. وبيان ذلك بالآتي:

التقول على أولي الأمر، والكذب عليهم: لقد دأب أهل الأهواء وأصحاب الفرقة على التقول على أولي الأمر لتأليب الناس ضدهم، ولإعطاء أنفسهم مبررا لخروجهم على الجماعة وعلى إمام المسلمين ، فأشعلوا الفتنة وأراقوا دماء المسلمين .

ولقد سلك مدبروا الفتنة الخارجون على عثمان τ هذا المسلك فكذبوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان τ حينما سرقوا خاتمه وزوروا الكتاب باسمه إلى عامله بمصر يأمره بقتل من رجع عنه من ثوار مصر [416]، وزوروا كتابا آخر بلسان علي بن أبي طالبυ إلى ثوار أهل العراق – الذين شرعوا في المسير نحو ديارهم بعد محاورتهم لعثمان واقتناع أغلبهم – يطلب منهم أن يعودوا إلى المدينة [417] ،ولم يكتف هؤلاء الثوار بذلك بل سعوا إلى التقول والكذب على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكتابة كتاب باسمها تأمر الناس فيه بالخروج على عثمان [418] .

---

[416] العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ρ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب ،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية،ط/1419،1هـ، ص 136 ، البداية والنهاية لابن كثير، 117/7 .

[417] ينظر: العواصم من القواصم ، ص122.

[418] الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)، تحقيق: زياد محمد منصور، : مكتبة

وبيَّن محب الدين الخطيب أثر التقول على الولاة، وأثر الوشايات الكاذبة في التحريض على الخروج على الإمام ، فقال: كان الزاحفون من أمصارهم على مدينة الرسول ρ فريقين: رؤساء خادعين على درجات متفاوتة، ومرؤوسين مخدوعين، وهم الكثرة التي يثبت فيها دعايات مغرضة حتى ظنت أن هنالك منفيين مظلومين، ومحرومين سلبوا حقهم [419] .

إن حب الدنيا والطمع في الرئاسة يدفع أصحاب الأهواء إلى الكذب على ولاة الأمر، وإلى تزييف الحقائق، وتأويل المواقف، كل ذلك ليحصل مرادهم من تأليب الناس على الولاة، ومن تبرير عداوتهم لهم، بل دفع حب الدنيا والموالاة والمعاداة فيها إلى سب الامام علي υ، وسب بعض الصحابة الكرام، والدعوة إلى ذلك، والتجاسر على التقول عليهم [420]

كما أن من أسباب التقول على الولاة ورؤوس الناس أن هؤلاء الجهال أصحاب الفرقة والضلال إذا سمعوا كلاما مجملا من ولي الأمر زادوا فيه وحملوه ما لا يحتمل، تقول عائشة رضي الله عنها: ((يَرْحَمُ اللهُ عَلِيًّا إِنَّهُ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ لَا يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلَّا قَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، وَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ)) [421] .

وصدق رسول الله ρحينما قال: ((سَتَكُونُ فِتْنَةٌ صَمَّاءُ، بَكْمَاءُ، عَمْيَاءُ، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ، وَإِشْرَافُ اللِّسَانِ فِيهَا كَوُقُوعِ السَّيْفِ))[422] .

العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط/2، 1408 هـ ،- 82/3، العواصم من القواصم ص123.

[419] ينظر حاشية العواصم من القواصم، ، ص120.

[420] مختصر سنن أبي داود ،الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (المتوفى: 656 هـ) تحقيق : محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط/1، 1431 هـ - 2010 م ، 28/7.

[421] المسند للامام احمد ، 86/2 وقال ابن كثير في البداية والنهاية تفرد به احمد واسناده صحيح 7/ 312.

[422] سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، كِتَاب الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، بَابٌ فِي كَفِّ اللِّسَانِ ، برقم (4264) 102/4 المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)،تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة،برقم(8717) 8/ 308، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

عاشراً : التشبه بالكافرين، واتباع سننهم

لقد حذرنا الله I ورسوله ρ من اتباع سنن الكافرين خاصة أهل الكتابين، وأخبرنا أن أمته ستتبع السنن الماضية الضالة، وأنها ستفترق كما افترقوا.

و في هذا بيان أن تقليد الكفرة واتباع طريقتهم وسيرتهم من أسباب الفرقة التي دبت في الأمة، ففي الحديث عن رسول الله ρ قال: ((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً))، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))[423].

و في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، عَنِ النَّبِيِّ ρ، قَالَ: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ)) فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: ((وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ))[424] .

و في حديث آخر عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّτ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ρ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ρ: ((سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى چ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ[425] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ))[426] .

---

[423] رواه الترمذي ، أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، باب مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الأُمَّةِ ، برقم (2641) ، 4/ 323 ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ والحاكم ، برقم (444) 1/ 218 .

[424] رواه البخاري ، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ρ: ((لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) برقم (7319) 9/102.

[425] الأعراف: من الآية: ١٣٨.

[426] رواه الترمذي ، أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، برقم (2180) 4/45، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ اسْمُهُ الحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ وَفِي البَاب عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، واحمد، برقم (21897)36/ 225، ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان ، كتاب التاريخ، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنِ اتِّبَاعِ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَنَنَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، رقم(602) 15/ 94، المعجم الكبير – الطبراني، برقم(3293) 3/244.

ولقد جاءت نصوص كثيرة تأمرنا بمخالفة الكفار، وتنهى عن التشبه بهم، ولقد خصت الفرقة بمزيد ذكر في كتاب الله عز وجل حيث جاء النهي عن مشابهة الكافرين في تفرقهم خاصة ، يقول الله I: چ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ چ [427] ويأمر الله Ψ نبيهρ بمخالفة الكافرين وعدم اتباع أهوائهم، يقول I: چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ چ[428] ، ويقول سبحانه: چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ[429] .

ان أحوال الأمة الآن تسودها الفرقة التي دبت بين المسلمين ، وأن البدعة قد فشت فيهم، وأن في كثير منها مشابهة ومضاهاة للكافرين[430] ، والذي من شأنه أن يحرف الناس عن الصراط المستقيم، ويلجئهم للسبل المفرقة للأمة.

وحاضر المسلمين اليوم شاهد على ذلك من ترك أكثرهم نصوص الوحيين وجريهم خلف الكافرين ومتابعة عوائدهم وسننهم سواء كان على مستوى الدولة في السياسة والحكم أو على مستوى الفرد في الأخلاق والسلوك مما يوهن جسد الأمة، ويبث الفرقة والاختلاف فيها كما هو واقع الآن [431] .

الحادي عشر :اتباع الهوى

لقد أمرنا الله Y بوجوب طاعته وطاعة رسوله ρ، ووصانا سبحانه بلزوم الصراط المستقيم واتباعه، وبين سبحانه أن من خرج عن الصراط المستقيم لما تهواه نفسه فهو تائه ضال بذلك قال تعالى: چ چ چ چ چ چچ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ [432] إنهما أمران لا ثالث لهما: إما أن يكون

---

(427) آل عمران: ١٠٥.

(428) الجاثية: ١٨.

(429) الرعد: ٣٧.

(430) ينظر : دراسات في الاهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، ناصربن عبدالكريم العقل ،مركز الدراسات والاعلام ، دار اشبيلية للنشر، الرياض، 1418هـ ـ 1997م ، ص 357–360، التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي ،جميل بن حبيب اللويحق ،دار الاندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة ، ط/1419،1هـ ، ص 52،49، 177، 330.

(431) موقف الصحابة من الفرقة والفرق، د. أسماء بنت سليمان بن عبدالرحمن ، ص 292– 295.

(432) الأنعام: ١٥٣ .

المرء متبعا للحق، أو يكون متبعا للهوى، يقول الإمام الشاطبي في معرض ذمه للبدع : (أَنَّهُ اتِّبَاعٌ لِلْهَوَى; لِأَنَّ الْعَقْلَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُتَّبِعًا لِلشَّرْعِ، لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى وَأَنَّهُ ضَلَالٌ مُبِينٌ.

أَلَا تَرَى قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: چ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی □□□□□□□□ بم بى□□ □□ تم□□□ ثم□□□چ[433] ، فَحَصَرَ الْحُكْمَ فِي أَمْرَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا عِنْدَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ وَالْهَوَى، وَعَزَلَ الْعَقْلَ مُجَرَّدًا إِذْ لَا يُمْكِنُ فِي الْعَادَةِ إِلَّا ذَلِكَ [434]، وبين في موضع آخر أن اتباع الهوى من أسباب الاختلاف ووقوع الفرقة في الأمة فقال: (مِنْ أَسْبَابِ الْخِلَافِ اتِّبَاعُ الْهَوَى ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَهْلُ الْبِدَعِ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ لِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَلَمْ يَأْخُذُوا الْأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مَأْخَذَ الِافْتِقَارِ إِلَيْهَا، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهَا، حَتَّى يَصْدُرُوا عَنْهَا، بَلْ قَدَّمُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَاعْتَمَدُوا عَلَى آرَائِهِمْ، ثُمَّ جَعَلُوا الْأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مَنْظُورًا فِيهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ[435].

والدليل على ذلك أنك لا تجد مبتدعا ممن ينسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي فينزله على ما وافق عقله وشهوته، وهو أمر ثابت في الحكمة الأزلية التي لا مرد لها، قال تعالى: چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہچ[436] وَإِذَا دَخَلَ الْهَوَى أَدَّى إِلَى اتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ حِرْصًا عَلَى الْغَلَبَةِ وَالظُّهُورِ بِإِقَامَةِ الْعُذْرِ فِي الْخِلَافِ، وَأَدَّى إِلَى الْفُرْقَةِ وَالتَّقَاطُعِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، لِاخْتِلَافِ الْأَهْوَاءِ وَعَدَمِ اتِّفَاقِهَا، وَإِنَّمَا جَاءَ الشَّرْعُ بِحَسْمِ مَادَّةِ الْهَوَى بِإِطْلَاقٍ [437]، لذلك لَمْ يَأْتِ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُ الْهَوَى إِلَّا فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ [438].

ولقد جاء الأمر صريحا لنبينا الأكرم ρ باتباع الشرع الحنيف، والنهي عن اتباع الهوى فقال سبحانه: چ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہچ[439].

---

(433) ص: ٢٦ .

(434) الاعتصام، ص67 .

(435) الاعتصام ، ص684.

(436) البقرة: ٢٦ .

(437) ينظر الموافقات للشاطبي، 221/5.

(438) الاعتصام ، ص688.

(439) الجاثية: ١٨ .

والشريعة التي جعله عليها تتضمن ما أمر به، وكل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة، فهو من أهواء الذين لا يعلمون، فإن العلم بما يحبه الله إنما هو ما أنزله الله على عباده من هداه.

ولهذا كان السلف يعدون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء ويذمونهم بذلك.

قَالَ أَبُو الْعَالِيَة الرياحى تعلمُوا الْإِسْلَام فَإِذا علمتموه فَلَا ترغبوا عَنهُ وَعَلَيْكُم بالصراط الْمُسْتَقيم فَإِن الصِّرَاط الْمُسْتَقيم الْإِسْلَام وَلَا تحرفوه يَمِينا وَلَا شمالا وَعَلَيْكُم بِسنة نَبِيكُم وَأَصْحَابه [440] .

وصدق أبو العالية ، فهذه الأهواء المذمومة قد فرقت الأمة، وفككت كيان الجماعة المسلمة، ولقد أخبرنا عن ذلك النبي ρ لنحذر منها، ونجانبها، ونلزم الجماعة المسلمين ، ونسلك الصراط المستقيم، ففي الحديث : ((أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ تَفَرَّقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الْأَهْوَاءِ، أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الْأَهْوَاءِ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، أَلَا وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَهْوُونَ هَوًى يَتَجَارَى بِهِمْ ذَلِكَ الْهَوَى كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَدَعُ مِنْهُ عِرْقًا وَلَا مَفْصِلًا إِلَّا دَخَلَهُ))[441].

وقال رسول الله ρ أيضا : ((إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ بَعْدِي بُطُونَكُمْ وَفُرُوجَكُمْ وَمُضِلاتِ الأهواء.))[442] .

ولقد أنكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على الرجل الذي قال له: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ هَوَانَا عَلَى هَوَاكُمْ قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْهَوَى كُلُّهُ ضَلَالَةٌ وفي رواية اخرى :(كُلُّ هَوًى ضَلَالَةٌ)[443].

---

[440] التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: 377هـ)،تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر، ص84، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، اللالكائي ،1/ 56، ذم الكلام وأهله، الهروي ، 9/5، الاعتصام ـ للشاطبى، ص85.

[441] السنة ، ابن أبي عاصم ، ذِكْرُ الْأَهْوَاءِ الْمَذْمُومَةِ نَسْتَعْصِمُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْهَا، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ سَخَطَهُ، برقم (2)7/1.

[442] السنة (لابن أبي عاصم ، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُضِلاتِ الأَهْوَاءِ برقم(14) 12/1.

[443] الشريعة الآجُرِّيُّ ، بَابُ ذَمِّ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ، برقم(126) 444/1، شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، اللالكائي، سِيَاقُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ρفِي

وقال عبد الله بن عمر: (مَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِسْلَامِ أَشَدَّ فَرَحًا بِأَنَّ قَلْبِي لَمْ يَدْخُلْهُ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ) [444] .

أن النهي عن اتباع الهوى نهي يشمل: هوى الشهوات وهو داء العصاة، الذي يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق كفسق الأعمال ونحوها وهو الاستمتاع بالخلاق.

وهوى الشبهات، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات، وهو يقع بالاعتقاد الباطل كالبدع ونحوها، وهو الخوض في الباطل. وهذه الانواع ذكرها I في قوله تعالى: چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ[445]

ولقد كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه.

والدواء لهذين الدائين يكون بالصبر واليقين كما قال تعالى: چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ چ[446] (فَبِالصَّبْرِ تُتْرَكُ الشَّهَوَاتُ، وَبِالْيَقِينِ تُدْفَعُ الشُّبُهَاتُ)[447] ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: چ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ چ[448] وقَوْله تَعَالَى: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ [449]

إن النهي في اتباع الأهواء ليس نهيا عن اتباع أهواء الأمم السابقة، بل يلحق به متابعة أهل الأهواء والبدع في بدعهم، أو مداهنتهم عليها والسكوت عن الإنكار عليهم تحت أي دعوى من الدعاوى الحديثة التي تزعم التقريب أو التأليف بين الفرق، وهي في حقيقتها تطالب بتنازل أهل السنة عن السنة وعن الاتباع، يقول الإمام الشوكاني عن قوله تعالى: چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ

النَّهْيِ عَنْ مُنَاظَرَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَجِدَالِهِمْ وَالْمُكَالَمَةِ مَعَهُمْ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى أَقْوَالِهِمُ الْمُحْدَثَةِ وَآرَائِهِمُ الْخَبِيثَةِ، برقم (225) 146/1.

[444] شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، اللالكائي، سِيَاقُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ρفِي النَّهْيِ عَنْ مُنَاظَرَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَجِدَالِهِمْ وَالْمُكَالَمَةِ مَعَهُمْ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى أَقْوَالِهِمُ الْمُحْدَثَةِ وَآرَائِهِمُ الْخَبِيثَةِ برقم(226) 147/1.

[445] التوبة: ٦٩ .

[446] السجدة: ٢٤.

[447] إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية ، 106/1.

[448] العصر: من الآية: ٣ .

[449] ص: ٤٥.

ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ
ﭷ[450].

(وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ الَّذِي تَرْجُفُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَتَصَدَّعُ مِنْهُ الْأَفْئِدَةُ، مَا يُوجِبُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ الْحَامِلِينَ لِحُجَجِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَالْقَائِمِينَ بِبَيَانِ شَرَائِعِهِ، تَرْكَ الدِّهَانِ لِأَهْلِ الْبِدَعِ الْمُتَمَذْهِبِينَ بِمَذَاهِبِ السُّوءِ، التَّارِكِينَ لِلْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، الْمُؤْثِرِينَ لِمَحْضِ الرَّأْيِ عَلَيْهِمَا فَإِنَّ غَالِبَ هَؤُلَاءِ وَإِنْ أَظْهَرَ قَبُولًا وَأَبَانَ مِنْ أَخْلَاقِهِ لِينًا لَا يُرْضِيهِ إِلَّا اتِّبَاعُ بِدْعَتِهِ، وَالدُّخُولُ فِي مَدَاخِلِهِ، وَالْوُقُوعُ فِي حَبَائِلِهِ، فَإِنْ فَعَلَ الْعَالِمُ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَسْتَفِيدُ بِهِ أَنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ مَا فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، لَا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْبِدَعِ الَّتِي هِيَ ضَلَالَةٌ مَحْضَةٌ، وَجَهَالَةٌ بَيِّنَةٌ وَرَأْيٌ منها، وَتَقْلِيدٌ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، فَهُوَ إِذْ ذاك ماله مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مَخْذُولٌ لَا مَحَالَةَ، وَهَالِكٌ بِلَا شَكٍّ وَلَا شُبْهَةٍ) [451] .

والملاحظ على أسباب الفرقة التي تقدم ذكرها، تدور في رحاها بين الجهل وبين اتباع الهوى والظلم، لذلك لا اجتماع للأمة إلا بوحدتها على كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريمρ، والتزام صراطه المستقيم علما وعملا، حقا وعدلا ، فالإنسان خلق ظلوما جهولا، فالأصل فيه عدم العلم، وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائما إلى علم مفصل يزول به جهله، وعدل في محبته وبغضه، ورضاه وغضبه، وفعله وتركه، وإعطائه ومنعه، وأكله وشربه، ونومه ويقظته، فكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى علم ينافي جهله، وعدل ينافي ظلمه، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل، والعدل المفصل، وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم[452] .

المطلب الثالث

الفرقة من وسائل الشيطان على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة

---

(450) البقرة: ١٢٠ .

(451) فتح القدير ، 1/ 158.

(452) موقف الصحابة من الفرقة والفرق ، د. أسماء بنت سليمان بن عبدالرحمن ، ص 296– 300.

ما يزال الشيطان يعلن العداوة لبني الإنسان منذ أن لُعن و ُطرد من رحمة الله سبحانه وتعالى ولقد طلب من الله Yالإنظار وطول الحياة ليضل العباد ويفتنهم عن دينهم.

ولقد توعد العدو باتخاذ كافة السبل لذلك قال الله چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ[453] .

توعد عدو الله اللعين بأن يصد الناس عن الصراط المستقيم الذي أمرنا الله Y بسلوكه وحذرنا المولى سبحانه من الحياد عنه واتخاذ السبل والضلالات مكانه كما قال تعالى: چ چ چ چ ڇ ڇ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ [454] .

يقول عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود ِτ: (إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ يَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ يُنَادُونَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلُمَّ هَذَا الصِّرَاطَ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ فَإِنَّ حَبْلَ اللَّهِ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ)[455]

وما زال الشيطان بآدم υحتى أخرجه من الجنة وما زال ببني آدم حتى أوقع بينهم الفرقة والعداوة بصدهم عن الإيمان بالله تعالى وإيقاع الكفر والشرك الذي فرقهم قال تعالى :چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ [456]، قال ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلُّهُمْ" [457] .

---

[453] الأعراف: ١٣ – ١٧.

[454] الأنعام: ١٥٣ .

[455] **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 5/ 645، الشريعة،الآجُرِّيُّ ، 1/ 297.**

[456] يونس: ١٩.

[457] مسند أبي يعلى ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي(المتوفى: 307هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط/1404،1 ـــ1984 ،(برقم2606)، 4/ 473 وقال محقق المسند : إسناده صحيح ، المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل،ط/1 ، **1415 هـ - 1994 م)** برقم(11857) ،11/ 309، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى:

ويذكر الإمام عبدالرحمن بن الجوزي كيد الشيطان لآدم υ ثم كيده لأحد ولدي آدم بقتل أخيه ثم يذكر أن الأمر جرى بعد ذلك على السداد والاستقامة وكانت الأمة واحدة والدين واحد والمعبود واحد كما قال قتادة رحمه الله : كان بين آدم ونوح عليهما السلام ـ عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا فكادهم العدو إبليس وتلاعب بهم حتى انقسموا قسمين : كفارا ومؤمنين[458] فكادهم بعبادة الأصنام وإنكار البعث[459] وفي الحديثَ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ρ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)[460].

فالشيطان حريص على تفريق الناس وتحزيبهم بصدهم عن توحيد الله Yالذي يجمعهم وإلقاء الشرك ونشره بينهم فهو كفيل بتفريقهم. يقول ابن الجوزي: اعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافي وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي وتوافقوا على منهاج لم يختلف فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبها وبالدواء سما وما ازل يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية في مذاهب سخيفة وبدع قبيحة فأصبحوا يعبدون الأصنام في البيت الحرام... فابتعث الله Iمحمدا

807هـ) تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ ـ 1994م ، برقم(10851)،6/ 318، وقال: هذا اسناد رواته ثقات، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: 840هـ)تقديم: الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، تحقيق : دارالمشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط/1، 1420هـ ـ 1999م، برقم(5625) 6/ 181 وقال: هذا اسناد رواته ثقات.

[458] ينظر: كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم υومعه بيان مذاهب الفرق الضالة، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج، تحقبق: أبو الأشبال الزهيري، مكتبة ابن تيمية،1420هـ ـ 1999 ، ص 47ـ49.

[459] **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691 - 751)، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة، ط/1، 1432 هـ، 2/ 957.**

[460] صحيح مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّار، برقم(2865)4/ 2197

ρ فرفع القابح وشرع المصالح فسار أصحابه معه وبعده في ضوء نوره سالمين من العدو وغروره فلما انسلخ نهار وجودهم أقبلت أغباش الظلمات فعادت الأهواء تنشئ بدعا وتضيف سبيلا ما ازل متسعا ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعا ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف وإنما يصح له التلصص في ليل الجهل فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح[461] .

يقول ابْنِ عَبَّاسٍ: (وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ الْيَوْمَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَى الشَّيْطَانِ هَلَاكًا مِنِّي) . فَقِيلَ: (وَكَيْفَ؟) فَقَالَ: (وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيُحْدِثُ الْبِدْعَةَ فِي مَشْرِقٍ أَوْ مَغْرِبٍ , فَيَحْمِلُهَا الرَّجُلُ إِلَيَّ , فَإِذَا انْتَهَتْ إِلَيَّ قَمَعْتُهَا بِالسُّنَّةِ , فَتُرَدُّ عَلَيْهِ كَمَا)[462] ويقول المولى سبحانه محذرا المؤمنين من أن تنطلي عليهم حيل الشيطان ومكائده، يقول تعالى چ ٱ ب ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ [463] فالشيطان حريص على إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين ليفترقوا وهو يسلك كل سبيل ليصل إلى هدفه بل إن من الأعمال المحببة إليه التفريق بين الرجل وزوجته وبضعف الأسرة يضعف المجتمع ويضعف أفراده ففي الحديث عن رسول الله ρقال : (إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ) قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: (فَيَلْتَزِمُهُ)[464].

---

[461] **تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، ط/1، 1421هـ -2001م، ص 4وما بعدها.**

[462] **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: 418هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، ط/8، 1423هـ -2003م، برقم (12)1/ 61،**

[463] المائدة: ٩٠ – ٩١.

[464] صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ،بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، برقم(2813) 4/ 2167، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما

بل إن التفريق بين الناس جماعات وأفرادا هي من مكائده وحبائله منذ قديم الزمان فها هو ذا يسعى بالتفريق بين يوسف υوإخوته إذ يلقي العداوة والبغضاء في نفوس إخوة يوسف لأخيهم يوسف υ فيقدمون على التخلص منه بإلقائه في البئر يقول تعالى حاكيا عن يوسف υ: چ گ گ گ گ گ گب گب گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮪ ﮫ ﮫ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ چ[465] ، وفي الحديث عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ρ، يَقُولُ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)[466]،

هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوَّةِ ،وَمَعْنَاهُ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ أَهْلُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنَّهُ سَعَى فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ بِالْخُصُومَاتِ وَالشَّحْنَاءِ وَالْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ وَنَحْوِهَا[467]

ولذلك حرص الإسلام أشد الحرص على سد هذه الطرق في وجه الشيطان فلا يستطيع أن يلج منها ليفرق بين المؤمنين فاعتنى الإسلام بغرس معنى المحبة الإيمانية في القلوب وجعلها من أوثق عرى الإيمان وصان وحافظ على الحقوق الأخوية بالنهي عن التباغض والتحاسد والتجسس وكل ما يورث عداوة وفرقة بين المسلمين ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ρقَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)[468] .

بل جعل من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فإذا ازل ذلك عنه فقد نقص إيمانه بِذَلِكَ[469]، وعَنْ أَنَسٍ τ، عَنِ النَّبِيِّ ρ قالَ: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[470] .

---

465 يوسف: من الآية: ١٠٠.

466 صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ،بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، برقم(2812)4/ 2166.

467 **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، 17/ 156.**

468 سبق تخريجه .

469 **جامع العلوم والحكم، السَلامي،1/ 327.**

470 **صحيح البخاري**، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ **برقم(13) 1/ 12**، ومسلم،بلفظ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ - مَا

فشرط كمال الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه ودلنا على كل ما يوطد الحب في الله ليتحقق الجسد الواحد عَنْ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: (تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى) [471].

والبناء المتراص المتلاحم الذي يصمد ويتصدى لخطط الشيطان ومكائده في التحريش بين المسلمين' يقول الله تعالى: چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک چ[472] .

يقول الحافظ ابن كثير عن هذه الآية : يَأْمُرُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الْأَحْسَنَ وَالْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ؛ فَإِنَّهُ إِذْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، وَأَخْرَجَ الْكَلَامَ إِلَى الْفِعَالِ، وَوَقَعَ الشَّرُّ وَالْمُخَاصَمَةُ وَالْمُقَاتَلَةُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ مِنْ حِينِ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ، فَعَدَاوَتُهُ ظَاهِرَةٌ بَيِّنَةٌ؛ وَلِهَذَا نَهَى أَنْ يُشِيرَ الرَّجُلُ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ فِي يَدِهِ، أَيْ: فَرُبَّمَا أَصَابَهُ بِهَا[473].

ولقد دعا الله سبحانه المؤمنين كافة بالدخول في الإسلام وطاعة الله Ψ والتمسك بها وأمرهم بلزومها وحذرهم من خطوات الشيطان وخطراته التي يوسوس بها ليصدهم عن دين الله ويفرقهم عن صراطه المستقيم فقال تعالى چ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ چ[474] ، ولقد تفطن

يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، برقم(45) 1/ 67.

[471] **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ ، **برقم(6011) 8/ 10، ومسلم بلفظ:**(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ،بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، برقم(2586) 4/ 1999.

[472] الإسراء: ٥٣.

[473] **تفسير القرآن العظيم، (المتوفى: 774هـ)، 5/ 87،**

[474] البقرة: ٢٠٨.

الإمام علي بن أبي طالب τ إلى مكائد الشيطان وحيله ونبه عليها فقال حينما قتل الخوارج بالنهروان: بُؤْسًا لَكُمْ! لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ غَرَّهُمْ؟ قَالَ: الشَّيْطَانُ وأنفسٍ بِالسُّوءِ أَمَّارَةٌ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَزَيَّنَتْ لَهُمُ الْمَعَاصِيَ، وَنَبَّأَتْهُمْ أَنَّهُمْ ظَاهِرُونَ[475].

وبين الإمام ابن قيم الجوزية كيد الشيطان وحيله أنه بإلقاء الشبهات فيها وتزيين الآراء والبدع لها فيقول رحمه الله: (ومن مكايده: أنه يسحر العقل دائمًا حتى يكيده، ولا يَسْلَم من سحره إلا من شاء الله، فيزيّن له الفعل الذي يضره، حتى يخيَّل إليه أنه من أنفع الأشياء له، ويُنفّره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيَّل له أنه يضره.

فلا إله إلا الله! كم فُتن بهذا السحر من إنسان! وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان! وكم جمَّل الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وبشّع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة! وكم بَهْرَج من الزُّيوف على الناقدين، وكم روّج من الزَّغل على العارفين! فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعّبة؛ وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك)[476] .

الفرع الأول: :ضرر الفرقة على الفرد المفارق

لقد جاء النهي الأكيد والتحذير الشديد من الفرقة، كما أن الله Ψ توعد الساعي في تفريق الأمة، المفارق لجماعتها بالوعيد الشديد مما يلحق به الضرر البالغ، ومن ذلك:

أولا: الوعيد الشديد من الله تعالى لأهل الفرقة

لقد توعد الله سبحانه المفارق للجماعة المسلمة في نصوص عديدة، يقول الله تعالى: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ[(477)].

فمن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها رسول الله ρ، وخالف ما اجتمعت عليه الأمة المحمدية [(478)]، وخالف طريق المسلمين[(479)] فقد عرض نفسه

---

[475] **البداية والنهاية**، ابن كثير، 7/ 320.

[476] **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان،1/ 193وما بعدها.**

[(477)] النساء: ١١٥ .

[(478)] تفسير ابن كثير، 3/ 412.

للعقاب الشديد من الله Y في قوله تعالى: چ چ چ چ چچ چ ڈ چ [480] **أَيْ: إِذَا سَلَكَ هَذِهِ الطَّرِيقَ جَازَيْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ، بِأَنْ نُحْسِنَهَا فِي صَدْرِهِ وَنُزَيِّنَهَا لَهُ ـاسْتِدْرَاجًا لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:** چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ چ [481]، **وَقَالَ تَعَالَى:** چ ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ [482] **وَجَعْلَ النَّارَ مَصِيرَهُ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْهُدَى لَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَّا إِلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** [483] .

وقال I متوعدا المفارقين : چ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے چ[484].

فهؤلاء الذين خالفوا الله Ψورسولهρ وساروا في شق وتركوا الشرع والإيمان واتباعه في شق، وشقوا العصا وجعلوها فرقتين ... فهؤلاء توعدهم سبحانه بقوله: چ ھ ھ ے ے چ **هُوَ الطَّالِبُ الْغَالِبُ لِمَنْ خَالَفَهُ وَنَاوَأَهُ، لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَقُومُ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ** [485] .

ويكفي أهل الفرقة أصحاب البدع وعيدا لهم أن رسول الله ρ منهم بريء، وهم منه برءاء. يقول الله تعالى: چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ [486]

عن الحسن البصري قال: خرج علينا عثمان بن عفان τ يوما يخطبنا، فقطعوا عليه كلامه، فتراموا بالبطحاء، حتى جعلت ما أبصر أديم السماء، قال: وسمعنا صوتا من بعض حجر أزواج النبي ρ فقيل: هذا صوت أم المؤمنين، قال:

---

(479) تفسير القرطبي ، 5/ 385.

(480) النساء:من الآية: 115.

(481) القلم: ٤٤.

(482) الصف:من الآية: ٥ .

(483) تفسير ابن كثير ،2/ 413.

(484) الأنفال: ١٣ .

(485) تفسير ابن كثير، 4/ 26 .

(486) الأنعام: ١٥٩ .

فسمعتها وهي تقول : ألا إن نبيكم قد برئ ممن فرق دينه واحتزب، وتلت: چ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ چ [487].

وعند الطبري أن أم سلمة قالت: ليتق امرؤ أن لا يكون من رسول الله ρ في شيء، ثم قرأت: چ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ چ [488]. ولما كان هؤلاء المفارقون بريئين من النبي ρ، والنبيρ منهم بريء توعدهم الله فقال: چ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ چ [489] أي : أنا الذي إلي أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا، والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك دونك ودون كل أحد، إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم وفرقتهم دينهم فأهلكهم بها، وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضيل مني عليهم، ويوم القيامة يجازي كلا منهم بما فعله في الدنيا، المحسن منهم بالإحسان، والمسيء بالإساءة كما قال سبحانه: چ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ چ[490].

ثانيا – تسويد الوجوه يوم القيامة

إن الفضيحة أن يأتي أهل الفرقة أصحاب البدع يوم القيامة وقد اسودت وجوههم عقابا لهم لما أحدثوه في دين الله وفرقوا به المسلمين، يقول الله تعالى:چ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ چ [491]، قال ابن كثير في تفسيرها: (**يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ البِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**)[492].

ثالثا – أن شذوذه عن الجماعة شذوذ إلى النار

هذا ما توعد به رسول الله ρ المفارق للجماعة، فإن مفارقته هذه وشذوذه عن الصراط المستقيم إنما هو شذوذ إلى النار ، قال رسول الله ρ: ((**إِنَّ اللَّهَ لاَ**

---

[487] الاعتصام للشاطبي ، قال القاضي اسماعيل احسبه يعني بقوله أم المؤمنين أم سلمة وان ذلك قد ذكر في بعض الحديث وقد كانت عائشه في ذلك الوقت حاجة ، ص 60.

[488] الأنعام: ١٥٩ ، ينظر : تفسير الطبري ، 12/ 273.

[489] الأنعام: من الآية:١٥٩ .

[490] الأنعام:من الآية: ١٥٩ ، ينظر تفسير الطبري، 12/ 273.

[491] آل عمران: ١٠٥ - ١٠٦ .

[492] تفسير ابن كثير ، 92/2.

يَجْمَعُ أُمَّتِي، أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ρ، عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَيَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ.))[493] .

إن من يخلع طاعة إمامه، ويفارق جماعة المسلمين يرتكب إثما عظيما عند الله، ففي الحديث عن رسول الله ρ: ((**فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ**)) [494]

وقال حذيفة بن اليمان τ: ((**مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ فَارَقَ الْإِسْلَامَ**))[495].

رابعا – إن المفارق يأتي يوم القيامة ولا حجة له

ولا يسأل عنه لسوء حاله، ففي الحديث عن رسول الله ρ قال: ((**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**)) [496]

---

[493] رواه الترمذي ، أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ برقم (2167) 36/4 ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، والحاكم، 1/ 201.

[494] رواه ابو داود ، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي قَتْلِ الْخَوَارِجِ، برقم (4758)4/ 241والترمذي ، أَبْوَابُ الأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، برقم (2864) 445/4 واحمد ، برقم (21561) 445/35 والحديث سكت عنه ابو داود ، وقال الترمذي ، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: الحَارِثُ الأَشْعَرِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَلَهُ غَيْرُ هَذَا الحَدِيثِ. ، وقال ابن الملقن في البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)،تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، ط/1، 1425هـ-2004م، 527/8، هَذَا الحَدِيث صَحِيح.

[495] المصنف في الأحاديث والآثار،ابن أبي شيبة، ، كِتَابُ الْفِتَنِ، مَنْ كَرِهَ الْخُرُوجَ فِي الْفِتْنَةِ وَتَعَوَّذَ عَنْهَا ، برقم (3144) /451، السنة ، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: 311هـ)،تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية – الرياض،ط/1، 1410هـ - 1989م ، أَوَّلُ كِتَابِ الْمُسْنَدِ، مَا يُبْتَدَأُ بِهِ مِنْ طَاعَةِ الْإِمَامِ، وَتَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، برقم (21) 1/ 86 .

[496] رواه مسلم كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر ، برقم (1851) 3/ 1478 .

وقالρ: ((**ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ،**))[497]

خامسا – الحرمان من الشرب من حوض رسول الله ρ

من أشد الحرمان أن يحرم العبد المسلم من أن يشرب من حوض نبينا محمد ρ شربة لا يظمأ بعدها أبدا، ويخشى على المبتدعة المفارقين لجماعة المسلمين أن يكونوا ممن يحال بينهم وبين الشرب من الحوض[498]

ففي الحديث عن رسول الله ρ قال: ((إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ)) [499] .

وقال ρ: ((أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي، يَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ)) [500] .

---

[497] اخرجه احمد، برقم(23942)368/39 ، والحاكم، برقم(411)206/1.

[498] ينظر فتح الباري لابن حجر ،11/ 365، 463 ، الاعتصام للشاطبي ،ص54، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط/1، 1425 هـ، ص306، حقيقه السنة والبدعة = الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)،تحقيق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد،1409 هـ،ص15– 23، ، النهاية في الفتن والملاحم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)،تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1408 هـ - 1988 م،1/ 236.

[499] رواه البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابٌ فِي الحَوْضِ، برقم (6593) 8/ 121، ومسلم ، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ρ وَصِفَاتِهِ، برقم(2293) 1794/4.

[500] رواه البخاري ،(واللفظ له) كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: چ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى چ الأنفال:من الآية: ٢٥ وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ρ يُحَذِّرُ مِنَ الفِتَنِ، برقم (7049) 9/ 46وفي رواية مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: ((أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَأُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي،

سادسا – الموت ميتة جاهلية

إن هذا المفارق للجماعة لو مات وهذا حاله فميتته ميتة جاهلية قال رسول الله ρ: ((مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))[501].

ويقول ρ: ((**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**)) [502]

والْمُرَادُ بِالْمُفَارَقَةِ السَّعْيُ فِي حَلِّ عَقْدِ الْبَيْعَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لِذَلِكَ الْأَمِيرِ وَلَوْ بِأَدْنَى شَيْءٍ فَكُنِّيَ عَنْهَا بِمِقْدَارِ الشِّبْرِ لِأَنَّ الْأَخْذ فِي ذَلِك يؤول إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ[503].

فهذا وعيد شديد لكل من يسعى لقلب الحكم وحل البيعة بسيفه بالإفساد كالتفجير والتهديد والقتل وإخلال الأمن، أو بلسانه بتأليب الناس على الإمام وتحريضهم للخروج عليه، فمن هذا شأنه ومات على ذلك فحال موته كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لا أنه يموت كافرا بل يموت عاصيا [504] .

سابعا – البعد عن التوبة، واستدراجه في معصيته لقد حجب الله I التوبة عن صاحب البدعة المفارق للجماعة ، يقول الشاطبي : (وَأَمَّا مُفَارَقَةُ الْجَمَاعَةِ، فَبِدْعَتُهَا ظَاهِرَةٌ، وَلِذَلِكَ يُجَازِي مُفَارَقَتَهَا بِالْمِيتَةِ الْجَاهِلِيَّةِ[505]، الخارج عن الصراط المستقيم، عَنْ أَنَسٍ τ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: ((إِنَّ اللَّهَ حَجَزَ - أَوْ قَالَ: حَجَبَ - التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ)) [506] ، وعن

أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ρوَصِفَاتِهِ برقم (2297)4/ 1796 .

(501) رواه مسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر برقم (1848)3/1477.

(502) رواه البخاري ، كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ρ: ((سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا)) برقم (7054) 9/ 47، ومسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر، برقم(1849)3/1477.

(503) ينظر فتح الباري لابن حجر،7/13.

(504) المصدر نفسه. .

(505) الاعتصام . ص 593.

(506) السنة لابن ابي عاصم ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ ρ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، برقم (37) ص21 .

يحيى بن أبي عمرو السيباني [507] ، قال : (كان يقال: يأبى الله لصاحب بدعة بتوبة وما أنتقل صاحب بدعة إلى إلا شر منها)[508] .مصداقاً لما قاله رسول الله ρعن الخوارج: ((يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْجِعَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ)) [509] .

ولعل بيان سبب حجب التوبة عنه وبعدها منه في قوله ρ بعد ذكر الافتراق المشهور وذكره لافتراق أمتهρ قال: ((وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ))[510] .

يقول الإمام الشاطبي شارحا ذلك: (وسبب بعده عن التوبة أن الدخول تحت تكاليف الشريعة صعب على النفس لأنه أمر مخالف للهوى، وصاد عن سبيل الشهوات، فيثقل عليها جدا لأن الحق ثقيل، والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفه، وكل بدعة فللهوى فيها مدخل، لأنها راجعة إلى نظر مخترعها لا إلى نظر الشارع، فعلى حكم التبع لا بحكم الأصل مع ضميمة أخرى: وهي أن المبتدع لابد له من تعلق بشبهة دليل ينسبها إلى الشارع، ويدعي أن ما ذكره هو مقصود الشارع، فصار هواه مقصودا بدليل شرعي في زعمه، فكيف يمكنه الخروج عن ذلك؟ وداعي الهوى مستمسك بحسن ما يتمسك به، وهو الدليل الشرعي في الجملة[511]

---

[507] هو يحيى بن أبي عمروالسيباني ابو زرعة الحمصي ابن عم الاوزاعي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة 148هـ ، ينظر : تهذيب التهذيب،لابن حجر العسقلاني ،260/11.

[508] البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي ، باب هل لصاحب البدعة توبة، ص 61 .

[509] البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي ، باب هل لصاحب البدعة توبة، ص 61، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،اللالكائي، برقم (286) 160/1.

[510] رواه ابو داود، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ، برقم (4597) 198/4 ، واحمد ، 38/ 135 والطبراني في المعجم الكبير ، 376/19 والحاكم في المستدرك، برقم (443) 218/1.

[511] الاعتصام ،ص164 وما بعدها .

ثم ما الذي يصده عن الاستمساك بمنهجه، والازدياد من رأيه، وهو يرى أن أعماله أفضل من أعمال غيره، واعتقاداته أوفق وأعلى؟ أفيفيد البرهان مطلبا؟! چ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ چ[512] .

وينبغي أن ندرك أن هذه النصوص لا تدل على أن لا توبة أصلا للمبتدع المفارق للجماعة، بل قد يتوب ويرجع إلى السنة والجماعة، وقد وقع، فالعموم في الحديث ليس عموما بإطلاق يقتضي الشمول، بل هو عموم عادي يقتضي الأكثرية [513] .

وأغلب من تحجب عنهم التوبة، وتكون بعيدة المنال عنه : من قد أشرب قلبه بهذه البدعة، وأعجب برأيه وفعله، وظن أنه يتقرب بذلك إلى الله، فأخذ يدعو إلى بدعته وفعله، ويوالي ويعادي على ذلك، فهذا بحق يتجارى به الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه [514] .

ولقد توعد الله سبحانه هذا المفارق للجماعة المعجب ببدعته توعده باستدراجه على عمله، قال تعالى: چ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ [515]

فهذا المفارق للجماعة السالك غير طريق الشريعة التي جاء بها رسول الله ρ، المخالف سبيل المؤمنين يجازيه الله تعالى بأن چ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ [516]

ثامنا – عدم قبول العمل وإحباطه

إن هذا المفارق للجماعة، المحدث في دين الله، المخالف لسنة رسول الله ρ عمله مردود عليه وإن ظن أنه حسن وصواب، أو كانت نيته حسنة فلا ينفعه ذلك ما دام أنه مخالف للسنة، يقول رسول الله ρ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا

---

[512] المدثر:من الآية: ٣١ .

[513] الاعتصام ،ص526.

[514] الاعتصام ،ص523،100، 534 .

[515] النساء: ١١٥ .

[516] الصف: ٥.

لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ))[517] ، فلا يقبل الله منه ما ابتدع وأحدث في دين الله فإنه ضلالة [518] .

وقيل: إن صاحب البدعة لا يقبل منه عمل بإطلاق على أي وجه وقع، من وفاق السنة أو خلافها، قال ابن عمر رضي الله عنهما عن القدرية : ((فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي)) ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ((لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)) [519].

وكذلك جاء عن عبادات الخوارج حينما ذكر من صلاتهم وصيامهم وعملهم الصالح قال بعد ذلك ρ: ((يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ)) [520].

ويؤيد هذا القول ما روي عن رسول الله ρأنه قال: ((المَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ **صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ**)) [521]، **وَذَلِكَ عَلَى رَأْيِ مَنْ فَسَّرَ الصَّرْفَ بِالْفَرِيضَةِ وَالْعَدْلَ بِالنَّافِلَةِ.وَهَذَا شَدِيدٌ جِدًّا عَلَى أَهْلِ الْإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ**[522].

وقيل: بل يرد عمله ولا يقبل إذا كانت بدعته أصلا يتفرع عليه سائر الأعمال، كما إذا ذهب إلى إنكار العمل بخبر الواحد بإطلاق، أو كانت بدعته تخرجه عن الإسلام، أو كان اعتقاده في الشريعة ضعيفا بأن يدعي أنها مكملة أو تابعة لرأيه وعقله[523] .

---

[517] رواه البخاري، كِتَابُ الصُّلْحِ، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، برقم (269) 184/2، ومسلم، كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ برقم(1718) 1343/3.

[518] الاعتصام ،ص88.

[519] رواه مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، برقم(8) 36/1 .

[520] رواه البخاري ، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ ،بَابُ قَوْلِ اللَّهِ Y: چ ي ي ي ي د چ الحاقة: من الآية: ٦ برقم (3344) 137/4(واللفظ له) ، ورواه مسلم ،كِتَابُ الْكُسُوفِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ برقم (1064) ، 2/ 742،من حديثأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

[521] رواه البخاري، كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ حَرَمِ المَدِينَةِ برقم(1870)20/3 .

[522] الاعتصام للشاطبي ، ص 144 ، فتح الباري لابن حجر، 4/ 85.

[523] الاعتصام للشاطبي ،ص 81–88.

تاسعا – الحرمان من شفاعة الرسول ρ

ففي الحديث عنه ρأنه قال: ((رَجُلَانِ مَا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: إِمَامٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ، وَآخَرُ غَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٌ مِنْهُ)) [524].

عاشرا – البعد عن رحمة الله، والوقوع في عذابه تعالى

إن أهل الفرقة بعيدون عن رحمة الله تعالى، إذ الرحمة تكون لأهل الاتفاق والائتلاف من الأمة، قال تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ[525] ، فأهل الاختلاف المذكورين في الآية مباينون لأهل الرحمة [526] ، معرضون لعذاب الله، قال رسول الله ρ: ((الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ))[527]، فالفرقة وأهلها بعيدون عن رحمة الله، واقعون في عذاب، معرضون أنفسهم لعقوبته تعالى.

الحادي عشر – جواز قتل المفارق المفرق للجماعة، وهدر دمه

لقد أجاز الشرع الحكيم قتل المفارق لجماعة المسلمين الساعي لتفريقها إذا لم يندفع إلا بذلك، وما ذاك إلا لخطورة فعله على الأمة، بل وجعل دمه هدرا لا دية ولا قصاص فيه [528].

قال رسول الله ρ: ((إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ[529] ،فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ)).[530] ، وقالρ أيضا: ((مَنْ

---

[524] رواه ابن أبي عاصم السنة ،برقم (41) 22/1 والطبراني في المعجم الكبير بلفظ :((رجلان من أمتي لا ينالهما شفاعتي سلطان ظلوم غشوم وآخر غال في الدين مارق منه)) برقم (17252) 20/ 214، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، رجاله ثقات برقم(9196) 5/ 236 .

[525] هود: ١١٨ - ١١٩ .

[526] ينظر : الاعتصام ، ص 675.

[527] السنة لابن ابي عاصم ، برقم(93) 1/ 44، الإبانة الكبرى ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ)،تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، برقم (117) 287/1، مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: 454هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/2، 1407 – 1986، برقم(15)43/1.

[528] شرح صحيح مسلم للنووي،12/ 241.

[529] الهنات جمع هنة وتطلق على كل شيء والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة (شرح صحيح مسلم للنووي،12/ 241.

أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ)) [531].

الثاني عشر – تسلط الشيطان عليه وملازمته له

إن شأن كل معرض عن الحق، مقبل على هواه مخلد إلى دنياه، شأنه أن يكون وليا للشيطان، تابعا له، يقول الله I: چ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ چ [532] ، قال رسول الله ρ: ((فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ،)) [533] ، وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ρ((يد الله مع الجماعة))[534]

---

[530] رواه مسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ،بَابُ حُكْمِ مَنْ فَرَّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ برقم (1852) 3/ 1480.

[531] رواه مسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ،بَابُ حُكْمِ مَنْ فَرَّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ برقم (1852) 3/ 1480.

[532] الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦ .

[533] رواه الترمذي ، أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ برقم (2165) 35/4، وقال : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ρ. واحمد في مسنده ، برقم (176) 1/ 310، والنسائي في السنن الكبرى، كِتَابُ عِشْرَةِ النِّسَاءِ، ذِكْرُ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِخَبَرِ عُمَرَ فِيهِ، برقم(9175) 8/ 284 ،وابن حبان ، برقم (5587) 400/12 والحاكم ، برقم(387) 1/ 197 ، وقال : (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ خِلَافًا بَيْنَ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ فِي إِقَامَةِ هَذَا الْإِسْنَادِ عَنْهُ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، كتاب المناقب، باب ما جاء فيمن صحب النبي ρ برقم(6990) 335/7 ، وقال : إسناده صحيح .

[534] رواه الترمذي ، أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ، برقم (2166) 4/ 36 ، وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، ورواه ابن حبان عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ بلفظ : قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ρ يَقُولُ: ((سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةِ، أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ρوَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ، فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ من فارق الجماعة يرتكض)) ذِكْرُ إِثْبَاتِ مَعُونَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا الْجَمَاعَةَ وَإِعَانَةِ الشَّيْطَانِ مَنْ فَارَقَهَا، برقم (4577) 438/10 .

الثالث عشر – إن صاحب البدعة الساعي للفرقة تنزع منه العصمة، ويبعد عن الرحمة، ويوكل إلى نفسه قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ[535] .فأشعر أن الاعتصام بحبل الله هو تقوى الله حقا، وأن ما سوى ذلك تفرقة لقوله: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ وَالْفُرْقَةُ مِنْ أَخَسِّ أَوْصَافِ الْمُبْتَدِعَةِ، لِأَنَّهُ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ وَبَايَنَ جَمَاعَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ[536] .

الرابع عشر – ما يلقى المفارق للجماعة من الذل في الدنيا والغضب من الله قال تعالى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ [537] ،فالآية وإن كانت في شأن عباد العجل من بني إسرائيل، ولكن قوله: ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ عموم فيهم وفيمن أشبههم من حيث كانت البدع كلها افتراء على الله.

فكل من ابتدع في دين الله فَهُوَ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ بِسَبَبِ بِدْعَتِهِ، وَإِنْ ظَهَرَ لِبَادِي الرَّأْيِ عِزُّهُ وَجَبَرُوتُهُ، فَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ أَذِلَّاءُ، ، وما العز الذي ينالوه إلا بسبب ملازمتهم للسلاطين واللوذ بأهل الدنيا، أما من لم يقدر على ذلك فهو ذليل مستخف ببدعته عن الجمهور[538] .

ومن ذلة أهل البدع والفرقة ما جاء في النهي عن توقيرهم ومجالستهم ومخالطتهم[539].

الخامس عشر – أن هذا المبتدع المفرق لجماعة المسلمين المفارق لصراطه المستقيم عليه إثم من عمل ببدعته ،وسار على ضلالته إلى يوم الدين، فياله من إثم عظيم ووزر ثقيل [540] .

---

[535] آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣ .

[536] الاعتصام للشاطبي ، ص150.

[537] الأعراف: ١٥٢ .

[538] ينظر: الاعتصام للشاطبي ،ص 167، الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ρ بعثت بالسيف بين يدي الساعة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار المأمون – دمشق،ط/1، 1990م،ص89 وما بعدها.

[539] الاعتصام ، ص790.

[540] الاعتصام، ص160.

قال تعالى: چ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ[541].

وقال رسول الله ρ: ((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)) [542].

السادس عشر – أنه يخشى عليه فتنة وسوء الخاتمة

جاء رجل إلى مالك بن أنس وسأله: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! مِنْ أَيْنَ أُحْرِمُ؟ قَالَ: مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، مِنْ حَيْثُ أَحْرَمَ رَسُولُ اللَّهِ ρ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُحْرِمَ مِنَ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، قَالَ: فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُحْرِمَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْ عِنْدِ الْقَبْرِ، قَالَ: لَا تَفْعَلْ; فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ، فَقَالَ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ هَذِهِ؟ ! إِنَّمَا هِيَ أَمْيَالٌ أَزِيدُهَا، قَالَ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَرَى أَنَّكَ سَبَقْتَ إِلَى فَضِيلَةٍ قَصَّرَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ρ؟ ! إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: چ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ چ [543]. وَهَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَفْسِيرُ الْآيَةِ هِيَ شَأْنُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَقَاعِدَتُهُمُ الَّتِي يُؤَسِّسُونَ عَلَيْهَا بُنْيَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَمَا سَنَّهُ نَبِيُّهُ ρ دُونَ مَا اهْتَدَوْا إِلَيْهِ بِعُقُولِهِمْ. [544].

وأما ما يخاف عليه من سوء الخاتمة لأن صاحب البدعة الساعي في الفرقة مصر على ما نهى الله عنه، ومن مات مصرا على المعصية فيخاف عليه[545]

ويلخص الشاطبي ما تقدم ويزيد فيقول: (فاعلموا أن البدعة لا يقبل معها عبادة من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا غيرها من القربات، ومجالس صاحبها تنزع منه العصمة، ويوكل إلى نفسه، والماشي إليه وموقره معين على هدم الإسلام، فما الظن بصاحبها، وهو ملعون على لسان الشريعة، ويزداد من الله بعبادته بعدا؟! وهي مظنة إلقاء العداوة والبغضاء، ومانعة من الشفاعة المحمدية، ورافعة للسنن التي تقابلها، وعلى مبتدعها إثم من عمل بها، وليس له

---

[541] النحل: ٢٥ .

[542] رواه مسلم ، كتاب الْعِلْمِ، بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ ،برقم (1017) 4/ 2059 .

[543] النور: من ألآية:٦٣ ، وينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لابي نعيم الأصبهاني ،326/6، الاعتصام للشاطبي،ص174.

[544] ألاعتصام، ص174.

[545] ينظر: الاعتصام ، ص 169.

من توبة، وتلقى عليه الذلة والغضب من الله، ويبعد عن حوض رسول الله ρ، ويخاف عليه أن يكون معدودا في الكفار الخارجين عن الملة، وسوء الخاتمة عند الخروج من الدنيا، ويسود وجهه في الآخرة، يعذب بنار جهنم، وقد تبرأ منه رسول الله ρ وتبرأ منه المسلمون، ويخاف عليه الفتنة في الدنيا زيادة إلى عذاب الآخرة) [546] .

الفرع الثاني : **ضرر الفرقة على المجتمع المسلم**

إن ضرر الفرقة عظيم، وخطرها جسيم على المسلمين أجمع، ولعل القارئ لحظ معنا في الفصول الماضية كيف أن شرر الفرقة كان باديا، وضررها كان فاشيا ينهش في جسد الأمة، ومن هذه المضار:

أولا – تعطيل الجهاد في سبيل الله، وتسلط الأعداء على الأمة المسلمة

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالجهاد في سبيله فقال عز من قائل: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [547]، وقال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [548] .

ولقد جعل الجهاد ذروة سنام الإسلام التي يعلو بها الأمم، كما في الحديث عن رسول الله ρ قال:((رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ،)) [549] ،ثم إن الذل والمهانة تقع على الأمة إذا تركت الجهاد في سبيل الله قال رسول الله ρ: ((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ)) [550].

---

[546] الاعتصام ، ص141.

[547] التوبة: ٧٣ .

[548] التوبة: ٤١.

[549] رواه الترمذي، أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلاَةِ، برقم (2616)308/4 ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وابن ماجه، كِتَابُ الْفِتَنِ ،بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ ،برقم (3973) 1314/2 وقال ابن القيم ، حديث صحيح ، إعلام الموقعين عن رب العالمين، 310/4.

[550] رواه ابو داود ، كِتَاب الْبُيُوعِ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ العِينَةِ، برقم (3462) 3/ 274 ، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد ،وصبري عبد الخالق الشافعي ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط/1، 2009م، برقم (5887) 205/12 ، الكنى والأسماء،

يقول الامام علي بن أبي طالب υ: (إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف ... فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا)[551] .

إن الأمة القوية والدولة المتماسكة العاملة بأمر الله وأمر رسول الله ρ هي التي تستطيع أن تقيم الدين وترفع علم الجهاد، ومتى ما شغلت الأمة بهمومها، وانصرفت الدولة إلى تسكين الثائرة بين أبنائها، وتوطيد حكمها، فهي مشغولة عن جهاد عدوها. وحينما تنشغل الأمة بآلامها، وتضعف لتفرقها وتترك جهاد أعداء الدين، فلا ريب أن العدو يتربص بها، ويتسلط عليها، قال رسول الله ρ: ((إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا (أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا) حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا)) [552]،ومعنى الحديث: إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح ما حازوه من البلاد. فالله لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم

أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: 310هـ) تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم - بيروت/ لبنان،ط/1، 1421 هـ - 2000م، برقم (1489) 849/2، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 5/ 208، السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط/3، 1424 هـ - 2003 م، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ مَا وَرَدَ فِي كَرَاهِيَةِ التَّبَايُعِ بِالْعِينَةِ ،برقم (10703) /516 .

[551] ينظر: نهج البلاغة لسيدنا الامام علي بن ابي طالب υ، جمعه ونسق ابوابه الشريف الرضي شرحه وضبط نصوصه محمد عبده ، باشراف د. عبدالله أنبس الطبّاع، ود.عمر أنبس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت، ط/1، 1410هـ ـ 1990م،67/1.

[552] رواه مسلم ، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ برقم (2889)، 2215/4.

وإمامهم ماداموا بضد هذه الأوصاف المذكورة في قوله: ((حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا)) فأما إذا وجدت هذه الأوصاف فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم وإمامهم كما وقع [553] .

فإن هذه الأمة لما جعل بأسها بينها تفرقت جماعتهم، واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو فاستولى وحاضر العالم الإسلامي برهان واقع، أنه متى عز المسلمون دينهم، وأقاموا شرع الله تعالى، وامتثلوا أمره ونهيه علماء وأمراء وعامة، وائتلفوا واجتمعوا صفا واحدا ضد عدوهم فهم الأعلون الغالبون. أما إذا ضعف الامتثال لأمر الشريعة، وتفرقت الأمة واشتغلت بقتال بعضها بعضا، فهنا يتسلط العدو ويغلب وينتصر.

وهذا التفريق الذي حصل من الأمة (علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها) هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسولهρ كما قال تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ [554].

إن الله تعالى يعاقب الأمة المسلمة حينما تعصيه، ويعذبها بما يدب بينها من فرقة وتناحر حينما تتهاون في العمل بكتابها وسنة نبيها ρ، فهل من عودة إلى الدين والعمل به؟ ليعود للأمة مجدها وسيادتها[555] .

ثانيا- ذهاب قوة المسلمين

إن من مضار الفرقة الجسيمة والتي تقع على الأمة ما يحدث بسببها من ذهاب قوة المسلمين: القوة المعنوية، والقوة المادية، لما تسببه الفرقة من تناحر وتقاتل بين الجماعات المسلمة كما في الحديث: ((حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا)) [556].

ولما نزل قوله تعالى: چ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ [557].

---

[553] تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد (المتوفى: 1233هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، مشق،ط/1، 1423هـ/2002م، ص315 .

[554] المائدة: ١٤ .

[555] فتح الباري لابن حجر، 8/ 291، 296/13.

[556] رواه مسلم ، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ برقم (2889) 2215/4 .

[557] الأنعام: ٦٥ .

روي عن النبي ρ أنه قال: ((سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا)) [558] ، فاستجاب الله دعاء نبيهρ وأعاذه من الأمرين الأولين، ولم يجبه في الأمرين الآخرين وهو أن يجعلهم فرقا مختلفين، ويذيق بعضهم بأس بعض بالحروب والقتل [559].

إن الفرقة متى ما دبت في الأمة قاتل بعضهم بعضا، وصار كل يريد الغلبة لنفسه، والسيادة لملكه، وتحقيق مصلحة نفسه، حتى لو قتل أخاه المسلم، وسبى أهله واعتدى على أرضه وماله.

ولقد نبه عثمان τ وحذر الذين حاصروه يريدون قتله ونبههم على ضرر الفرقة فقال: (يَا قَوْمِ لا تَقْتُلُونِي فَإِنِّي وَالٍ وَأَخٌ مُسْلِمٌ. فو الله إِنْ أَرَدْتُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ أَصَبْتُ أَوْ أَخْطَأْتُ. وَإِنَّكُمْ إِنْ تَقْتُلُونِي لا تُصَلُّوا جميعا أبدا ولا تغزو جَمِيعًا أَبَدًا وَلا يُقْسَمُ فَيْؤُكُمْ بَيْنَكُمْ) [560] ،ولما قتل عثمان قال حذيفة بن اليمان : (وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ قَتْلُهُ خَيْرًا لَيَحْلُبُنَّهَا لَبَنًا. وَلَئِنْ كَانَ قَتْلُهُ شَرًّا لَيَمْتَصُّنَ بِهَا دَمًا)[561] ، وقال عبدالله بن سلام رضي الله عنهم يوم قتل عثمان: (الْيَوْمَ هَلَكَتِ الْعَرَبُ) [562] .

قال: (وَاللَّهِ لا تُهْرِقُونَ مِحْجَمًا مِنْ دَمٍ إِلا ازْدَدْتُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا.)[563] .

وما توالى على المسلمين من وقائع ونكبات أشد وأنكى.

إن زعزعة الأمن، وإثارة القلاقل والفتن في المجتمع المسلم تنهك اقتصاده، وتبعثر طاقاته التي من المفترض أن تجتمع لإعمار الأرض بدين الله، والدعوة إلى توحيد المولى سبحانه، والجهاد في سبيله لإقامة الحق ورد الباطل.

فهل يكف هؤلاء المبتدعة أصحاب الفرقة عن مساعدة أعداء الإسلام على الإسلام وأهله؟ وليتقوا الله فيما يقومون به ويفعلونه من إذهاب قوة المسلمين، وإضعاف مواردهم. وليعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ρ، وليسيروا مع

---

[558] رواه مسلم ، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ برقم (2890) 2216/4.

[559] زاد المسير لابن الجوزي ، 40/2-.

[560] الطبقات الكبرى لابن سعد ، 49/3.

[561] الطبقات الكبرى ابن سعد ،61/3.

[562] الطبقات الكبرى ،59/3.

[563] الطبقات الكبرى ابن سعد ،60/3.

الجماعة المسلمة على الصراط المستقيم لتكون صفا واحدا يعلو ويعلو ...، ويرد كيد الأعداء، ويتذكروا قول المولى Y: چ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڃ چ [564].

ثالثا: الهزيمة والفشل

مما لا شك فيه أن الهزيمة والفشل تصيب الجماعة المتفرقة، المختلفة فيما بينها، والمعترضة على قيادتها، إذ كيف ينتصرون ويغلبون وهم لم ينتصروا بعد على هوى أنفسهم، ولم يغلبوا شيطانهم.

ولقد نبه المولى العزيز سبحانه عباده المؤمنين على ذلك، وأمرهم بالاجتماع على طاعة الله وطاعة رسوله ρ ليتحقق لهم النصر على عدوهم، ولكن إن أبو إلا التفرق والاختلاف فالضرر لاحق بهم من الهزيمة والفشل.

يقول الله I: چ ـد ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پپ پپ پ ڀ ڀ ٺ ٺ چ [565].

فيا أيها المؤمنون أطيعوا ربكم ورسولكم فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء، چ ٻ ٻ چ أي : لا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم. چ پ چ أي : فتضعفوا وتجبنوا. چ پ پ چ أي : تذهب قوتكم وبأسكم ووحدتكم، وتنقطع دولتكم، ويدخلكم الوهن والخلل[566] ، والضعف عن جهاد العدو والانكسار له [567] .

لذلك يوصيهم الله I بالصبر فيقول في ختام الآية چ پپ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ چ.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسولهρ، وامتثال ما أرشدهم إليه مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ وَالْقُرُونِ قَبْلَهُمْ، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ بِبَرَكَةِ الرَّسُولِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ، فَتَحُوا الْقُلُوبَ وَالْأَقَالِيمَ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ، مَعَ قِلَّةِ عَدَدهم بِالنِّسْبَةِ إِلَى جُيُوشِ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ، مِنَ الرُّومِ وَالْفُرْسِ وَالتُّرْكِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالْبَرْبَرِ والحبُوش وَأَصْنَافِ السُّودَانِ والقبْط، وَطَوَائِفِ بَنِي آدَمَ، قَهَرُوا الْجَمِيعَ حَتَّى عَلَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَظَهَرَ دِينُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَامْتَدَّتِ

---

(564) آل عمران: من الآية: ١٠٣ .

(565) الأنفال: ٤٥ ـ ٤٦ .

(566) تفسير الطبري، 575/13 وما بعدها ، زاد المسير، 2/ 215 ، تفسير ابن كثير، 70/4 .

(567) تفسير الطبري،577/13.

الْمَمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ أَجْمَعِينَ[568].

إن القوة والنصر مع الوحدة والجماعة: وحدة الرأي، ووحدة القيادة، ووحدة القوة، وإن الهزيمة والفشل مع الفرقة والاختلاف وتعدد القيادات حتى لو كثر العدد.

رابعا- خروج الفرق، وفشو الفتن والبدع

ما أن تتفرق الأمة، وتخالف أمر الله تعالى لها بالتزام الجماعة وسلوك الصراط المستقيم إلا وتقوى الفرق، وتخرج على إمام المسلمين، وتقاتل الجماعة، وتوقد معها الفتنة، وتنشر معها البدعة مما يزيد الأمة وهنا، والمسلمين بلاء، ولقد أخبر رسول الله ρعن الخوارج: ((يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ))[569] .

وهذا شأن الفرق المبتدعة، شأن الضلالات والظلمات لا تجسر على الخروج إلا عند ضعف شمس الحق.

خامسا – وقوع العداوة والبغضاء، وذهاب المحبة والألفة:

إن من أصول الدين العظيمة، وقواعده المهمة التي هي من جماع الدين ما وصى الله به من تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين ·

ولكن يأبى أهل الفرقة والبدعة ذلك فما يزالون يهدمون الدين، ويفرقون قلوب المسلمين، ويوقعون بينهم العداوة والبغضاء بما يفعلونه من تفريق المسلمين شيعا وأحزابا، يقول الله تعالى: چ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى يي □□□□□ چ[570] .

ولقد أخبر الله Ψ عن حال أهل الفرقة والاختلاف من التنازع والشقاق الواقع بينهم، والذي هو مظنة إلقاء العداوة والبغضاء، قال الله تعالى چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ چ[571] وقال Y: چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ چ[572].

---

(568) تفسير ابن كثير ،72/4.

(569) رواه مسلم، كِتَابُ الْكُسُوفِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، برقم (1064) 745/2 .) ، والبخاري بلفظ :((حِينِ فُرْقَةٍ)) كِتَابُ اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الْخَوَارِجِ لِلتَّأَلُّفِ، وَأَنْ لاَ يَنْفِرَ النَّاسُ عَنْهُ، برقم (6933) 17/9·

(570) الروم: ٣١ - ٣٢ .

(571) البقرة: ١٣٧.

(572) الحج: ٥٣ .

فهؤلاء المفارقين للجماعة، المخالفين للحق في شقاق: عداوة ومنازعة للحق وأهله، وعداوة ومنازعة فيما بينهم، يسعون لشق عصا الطاعة ولصدع الكلمة، وكما وصفهم سبحانه: چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چ[573] إن كل هذه العداوة والبغضاء التي بين أهل الفرقة وبين أهل الحق، والتي هي فيما بين المختلفين أنفسهم كلها بسبب تركهم ما أمروا به من الجماعة وإقامة الألفة والمحبة في المجتمع المسلم، يقول الله تعالى چ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[574].

ويبين الإمام الشاطبي كيف يوقع أهل الفرقة بتفرقهم العداوة والبغضاء في الأمة فيقول: (وقد بين عليه الصلاة والسلام أن فساد ذات البين هي الحالقة، وأنها تحلق الدين، هذه الشواهد تدل على وقوع الافتراق والعداوة عند وقوع الابتداع. وأول شاهد عليه في الواقع قصة الخوارج إذ عادوا أهل الإسلام حتى صاروا يقتلونهم، ويدعون الكفار كما أخبر عنه الحديث الصحيح، ثم يليهم كل من كان له صولة منهم بقرب الملوك، فإنهم تناولوا أهل السنة بكل نكال وعذاب وقتل أيضا، حسبما بينه جميع أهل الأخبار.

ثم يليهم كل من ابتدع بدعة فإن من شأنهم أن يثبطوا الناس عن اتباع الشريعة، ويذمونهم ويزعمون أنهم الأرجاس الأنجاس المكبين على الدنيا، ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا وذم المكبين عليها، كما يروى عن عمرو بن عبيد أنه قال: (لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على شراك نعل ما أجزت شهادتهم)

وقيل له: كيف حدث الحسن عن سمرة[575] في السكتتين؟ فقال: (ما تصنع بسمرة!! قبح الله سمرة) . بل قبح الله عمرو بن عبيد. فهكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق چ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ[576].وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج فهم أول من لعن السلف الصالح، وكفر الصحابة رضي الله عن الصحابة، ومثل

---

(573) الحشر: من الآية: ١٤

(574) المائدة: ١٤.

(575) الحسن هو الحسن البصري ، وسمرة هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، صحابي جليل معروف بالشجاعة والإقدام ، نزل البصرة ومات بها عام 80هـ ، وقيل مات بالكوفة ، ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، 150/3 سير أعلام النبلاء،للذهبي، 183/3.

(576) التوبة: ٣٢ .

هذا كله يورث العداوة والبغضاء[577] ولما كانت الفرقة بهذه الخطورة وهذا الضرر كان الصحابة رضي الله عنهم أبعد ما يكون عنها، وأسلم الناس منها[578].

---

[577] الاعتصام ،ص 158 .

[578] الشريعة، للآجُرّيّ، كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ وَأَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا أَبَدًا وَأَنَّ عَذَابَ النَّارِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا أَبَدًا، بَابُ ذِكْرِ فَضْلِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ برقم (1161)4/ 1685، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض، ط/2، 1419هـ - 1999م،2/ 241 وما بعدها، شرح السنة، للبغوي ،10/ 81.

المبحث الثاني
الفرقة الناجية ،و منهج العلماء في عدَّ الفرق

تمهيد

ورد حديث رسول اللهρ عن افتراق امته ρ في كتب السنن بالالفاظ متقاربة منها :

1. عَنْ قَتَادَةَ τ، قَالَ: سَأَلَ النَّبِيُّ ρعَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ: عَلَى كَمْ تَفَرَّقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ؟ فَقَالَ: عَلَى وَاحِدَةٍ ، أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً. قَالَ: ((وَأُمَّتِي أَيْضًا سَتَفْتَرِقُ مِثْلَهُمْ ، أَوْ يَزِيدُونَ وَاحِدَةً ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً)) (579)

2. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍτ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ ((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَأَنْتُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَى مِثْلِهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً)) (580).

3. عن أنس ابن مالك τقال قال رسول الله ρ : ((إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة . وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة . كلها في النار إلا واحدة . وهي الجماعة)) (581)

4. **عَنْ أَنَسٍτ، عَنِ النَّبِيِّ ρ**قَالَ: ((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي تَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا السَّوَادَ الأَعْظَمَ)) (582).

---

(579) المصنف،أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت،ط/2، 1403، كِتَابُ اللُّقَطَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْحَرُورِيَّةِ، برقم (18675)،10/ 156 .

(580) مسند الإمام أحمد، برقم(12208)، 241/19 .

(581) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم، برقم (3993)2/ 1322 ، السنة، لا بن أبي عاصم ، بَابٌ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَذَمِّهِ الْفِرَقَ كُلَّهَا إِلَّا وَاحِدَةً، وَذِكْرُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ قَوْمًا سَيَرْكَبُونَ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ، برقم (64)، 32/1.

(582) المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)،تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، كِتَابُ الْفِتَنِ ،بَابٌ: فِي افْتِرَاقِ الأُمَمِ، برقم (1803) 4/ 398.

الواقع أن حصر الفرق في العدد المذكور تفصيلاً ليشمل كل فرقة ـ فيه إشكال، وذلك أن أصول الفرق لا تصل إلى هذا العدد، وتختلف وجهات نظر العلماء في عدّها أصلية أو فرعية، ثم إن فروع الفرق تصل إلى أكثر من هذا العدد، فهل نعد الأصول مع الفروع؟ أو الأصول فقط؟ أو الفروع فقط؟
كذلك فإن الفرق ليس لظهورها زمن محدد، أي لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم تحديد لنهاية تفرق أمته. وعلى هذا فإن الصواب أن يقال: إن الحديث فيه إخبار عن افتراق أمة محمد صلى الله عليه وسلم دون تحديدهم بزمن بعينه، بحيث لا يصدق إلا على أهله فقط، وإنما أخبر عن افتراق أمته ρ إلى يوم القيامة... إذاً فلا نحددها بزمن.
وينبغي أيضاً أن نعد الفرق في أي عصرٍ ظهرت فيه، بغضِّ النظر عن وصولها إلى العدد المذكور في الحديث أو عدم وصولها، فلا بد أن يوجد هذا العدد على الوجه الذي أراده الرسول ρوأخبر به، في عصرنا أو في غير عصرنا [583]

المطلب الأول
الفرقة الناجية

اختلف العلماء في المراد بالفرقة الناجية الواردة في حديث رسول الله ρ، وهي إجمالاً:
1. قيل: إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.، **عَنْ أَنَسٍ**τ، **عَنِ النَّبِيِّ** ρقَالَ: ((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي تَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا السَّوَادَ الأَعْظَمَ)) [584].
2. وقيل: هم العلماء المجتهدون الذين قال فيهم رسول الله ρ ((إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ))

---

[583] ينظر: الاعتصام ،222/2 ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، البغدادي ، ص7.
[584] المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، الهيثمي ، كِتَابُ الْفِتَنِ ،بَابٌ: فِي افْتِرَاقِ الأُمَمِ، برقم (1803) 4/ 398.

[585] ، أي لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة، وجاء في تخريج العقيدة الطحاوية، (الفرقة الناجية وهي طائفة أهل الحديث ومن اتبع سبيلهم من أتباع المذاهب وغيرهم) [586].

3. إنهم خصوص من أصحاب النبي ρ الذين قال فيهم الرسول ρ في رواية: ((مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي)) [587].

4. إنهم جماعة غير معروف عددهم ولا تحديد بلدانهم، أخبر عنهم النبي ρ بإخبار الله له أنهم على الحق حتى يأتي أمر الله. **عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ** ρ، قَالَ: ((لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)) [588]، ولعل هذا هو الراجح من تلك الأقوال .

---

[585] رواه ابن ماجه، كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، برقم (3950) 1303/2 ، المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: 249هـ)،تحقيق: صبحي البدري السامرائي , محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة – القاهرة، ط/1، 1408 – 1988 ،برقم (1220) ص367، ورواه ابن ماجه، كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، برقم (3950) 1303/2. السنة، لابن أبي عاصم ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ ρمِنْ أَمْرِهِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَإِخْبَارِهِ أَنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، برقم(84) 1/ 41، الإبانة الكبرى لابن بطة،بَابُ ذِكْرِ مَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ρمِنْ لُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْفُرْقَةِ، برقم(118)1/ 288.

[586] تخريج العقيدة الطحاوية،لابي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، 1414 هـ، برقم(102) ص85.

[587] المعجم الأوسط، الطبراني ، برقم (4886)137/5 ورواه الترمذي ،بلفظ:(مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي) أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ،برقم (2641) 323/4، وقال : هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

[588] صحيح البخاري ،كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ρ: ((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ)) يُقَاتِلُونَ وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ برقم (7311)101/9، ومسلم بلفظعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)) كِتَابُ الْإِمَارَةِ ،بَابُ قَوْلِهِ ρ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ)) برقم (1920) 1523/3.

5. وفيه قول خامس،(أَنَّ الْجَمَاعَةَ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى أَمِيرٍ.....)[589].

ومعنى قوله ρ: ((كلها في النار إلا واحدة))

فقد ذكر الشاطبي ما حاصله:

1. أن هذه الفرق لا بد أن ينفذ فيها الوعيد لا محالة.
2. أنهم مثل أهل الكبائر تحت المشيئة[590].
3. أن الأولى عدم التعرض لتعيين الفرق غير الناجية بالحكم عليها بالنار، لأن النبي ρ نبه عليها تنبيهاً إجمالياً لا تفصيلياً إلا القليل منهم كالخوارج [591].

المطلب الثاني
منهج العلماء في عدّ الفرق

لم يوجد لعلماء الفرق قانون يسيرون عليه في عدّهم للفرق الإسلامية، بل سلكوا طرقا عديدة، كل واحد منهم يعدها حسب اجتهاده، وما وصل إليه علمه.

وفي هذا يقول الشهر ستاني : اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الإسلامية، لا على قانون مستند إلى أصل ونص.

ثم قال: فما وجدت مصنّفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق، ومن المعلوم الذي لا مراء فيه أنه ليس كل من تميز عن غيره(بمقالة ما في مسألة ما) عُدّ صاحب مقالة، وإلا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد.

وقال أيضاً: وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط إلا أنهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف ما اتفق، وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقر وأصل مستمر [592]

والواقع مصداق كلام الشهرستاني فعند تتبع العلماء للفرق، وأقرب مثال لذلك ان أمهات الفرق عند الأشعري عشر أصناف، وعند الشهرستاني نفسه أربع فرق، وعند غيرهما ثمان فرق، وعند آخرين ثلاثاً، وبعضهم يجعلها خمساً،

---

[589] الاعتصام ،ص 774، وقد فصل القول فيها.

[590] الاعتصام، للشاطبي 247/2 وما بعدها.

[591] الموافقات للشاطبي157/5.

[592] الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، تحقيق : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت ، 1404، 12/1.

إلى غير ذلك مما يوحي بعدم وجود قانون لعدّ الفرق مستقلة أو تابعة لغيرها؛ إذا كان هَمُّ الأولين فيما يبدو تسجيل ما يجدون من آراء فردية كانت أو جماعية.

ولعل بعض هؤلاء العلماء اختلط عليه الأمر فيمن يستحق أن يطلق عليه أنه من أهل ملة الإسلام فيعتبر خلافه، أو لا يعتبره من المسلمين فلا يذكر خلافه، وهذه المسألة تحتاج إلى إيضاح نوجز ما ذكره البغدادي عنها فيما يلي: اختلف المنتسبون إلى الإسلام في الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام، وحاصل الأقوال في هذه المسألة كما يلي:

1. أن هذه التسمية تشمل كل مقر بنبوة محمد ρ وأن كل ما جاء به حق، كائناً قوله بعد ذلك ما كان. وهذا قول زعيم طائفة الكعبية من المعتزلة أبي القاسم الكعبي.

2. أنها تشمل كل من يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة.

3. أنها تشمل كل من أقر بالشهادتين ظاهراً ولو كان مضمراً للنفاق والكفر.

والواقع: أن تلك الأقوال لا تخلو من إيراد عليها وانتقاد لها، فقول الكعبي الأول، وقول مجسمة خراسان الأخير ينقضه ما وقع من يهود أصبهان من إقرارهم بنبوة محمد ρ إلى العرب خاصة لا إلى بني إسرائيل، وكذا قال قوم من موشكانية اليهود (نسبة إلى زعيمهم موشكان) فإنهم أقروا بجميع شرائع الإسلام، ونفوا أن الرسول محمداً ρ نبي إلى كافة البشر، بما فيهم اليهود.

ومع ذلك فإنهم ليسوا بمسلمين، ولا تعتبر أقوالهم ضمن أقوال الفرق الإسلامية[593] .

والصحيح في هذا كله أنه لا يدخل في الإسلام إلا من أقر به ظاهراً وباطناً، والتزم بالإيمان بالشريعة الإسلامية، ثم إذا كان له بعض البدع فإنه ينزل من الإسلام حسب قربه أو بعده عنه، ويعامل على هذا الأساس، ويحترز من تكفير شخص بعينه إلا إذا ظهر كفره من قوله أو فعله أو اعتقاده بعد إقامة الحجة عليه.

طريقة بيان الفرق وتعدادها طريقة لا تخلو من التكلف، لأن الأمة لم تنته عند تاريخ كتابة مصنف معين، ومن المصنفين للفِرق الذين حاولوا تعدادها: ابن الجوزي الذي قسم الفرق إلى ستة أصول تندرج تحتها الفروع فقال: فإن قيل وهل هذه الفرق معروفة؟ فالجواب: إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق، وأن

---

(593) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، البغدادي، ، ص12–14.

كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق، وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها وقد ظهر لنا من أصول الفرق: الحرورية والقدرية والجهمية والمرجئة والجبرية. وقد قال بعض أهل العلم: أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة [594]

إن محاولة تعداد الفرق وحصرها في العدد المذكور الوارد في الحديث يعد تكلفاً من أولئك المصنفين لأن الأمة الإسلامية لم تنته عند تاريخ كتابة أي مصنف من تلك المصنفات، ولم يكن المصنفون على علم بما سيجد بعدهم من فرق ،أما الحديث الوارد في افتراق الأمة، فلا خلاف على صحته، وإنما وقع الخلاف في الزيادة الواردة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)) [595]

وعن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ρ قام فينا فقال: ((أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)) [596].

---

[594] تلبيس ابليس ، لابن الجوزي ، ص 18 وما بعدها.

[595] رواه ابو داود، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ، برقم(4596) 197/4 ، الترمذي ،بلفظ: (تَفَرَّقَتِ اليَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)) أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ρ ،بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، برقم (2640) 322/4،وقال : (حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.)، ابن ماجه، بلفظ الترمذي ، كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ، برقم (3991) 1321/2 ، واحمد، بلفظ :((تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى، أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)) يرقم(8396) 14/ 124.

[596] رواه ابو داود، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ، برقم (4597) 198/4واحمد بلفظ:((إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ -، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)) برقم 16937) 134/28والطبراني في المعجم الكبير 376/19 والحاكم في المستدرك ، برقم (443) 218/1.

وقد استشكل البعض هذه الزيادة، مع أن أمة محمد ρ خير الأمم وأن المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض حسبما صرحت به الأحاديث وبالفاظ متقاربة منها : ((أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ " فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ)) [597].

لقد أجاب العلماء على هذا الإشكال ومنهم المحقق اليمني: صالح المقبلي حيث ذكر أن البعض ضعَّف حديث افتراق الأمة بسبب الزيادة المشار عليها وتضعيفه لم يكن من جهة السند، وإنما من قبل استشكال معناه فقال: إن عامة المسلمين أكثرهم على رأي أهل السنة والجماعة، ولا يعرفون الآراء المبتدعة. أما الخاصة فمنهم مبتدع يدعو إلى البدعة، وله أتباع ينصرون رأيه ويتوسعون فيه.

وهناك فئة من الناس يوافقونهم على البدعة في الظاهر، وإن كانوا في داخل أنفسهم يؤمنون بالحق.

وتوجد طائفة أخرى ليسوا من العلماء المحققين ولكنهم عرفوا أشياء من البدعة وحفظوا كثيرا من غثاء المذاهب والآراء وهم يخلطون الحق بالباطل، فهؤلاء ليسوا مثل الخاصة من العلماء ولم يدركوا سلامة العامة.

ثم قال: فالقسم الأول من الخاصة مبتدعة قطعاً.

والثاني: ظاهره الابتداع.

والثالث: له حكم الابتداع.

ثم قال: إن من الخاصة قسم رابع هم المتابعون للكتاب والسنة والواقفون عند حدودهما فهؤلاء هم السنية حقاً وهم الفرقة الناجية وإليهم العامة بأسرهم، ومن

---

[597] صحيح البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ ، برقم (3348) ، 4/ 138 ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ τ، و كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ چ ڈ ڈ ژ چ الحج: من الآية:٢ برقم (4741) 97/6، و كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابٌ: كَيْفَ الحَشْرُ، برقم (6538) 8/ 110 ، ومسلم ، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ كَوْنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، برقم (221) 200/1 ، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ كَوْنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، برقم (221) 201/1 ، كِتَابُ الْإِيمَانَ ،بَابُ قَوْلِهِ يَقُولُ اللهُ لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ ، برقم (222) 202/1.

شاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم.
إذا حققت جميع ما ذكرنا لم يلزم السؤال المحذور، وهو الهلاك على معظم الأمة، لأن الأكثر عددا هم العامة قديما وحديثاً وكذا الخاصة في الأعصار المتقدمة، ولعل القسمين الأوسطين وكذا من خفت بدعته من الأول تنقذهم رحمة ربك من النظام في سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية. ورحمة ربك أوسع لكل مسلم، لكنا تكلمنا على مقتضى الحديث ومصداقه وأن أفراد الفرق المبتدعة وإن كثرت الفرق فلعله لا يكون مجموع أفرادهم جزءاً من ألف جزء من سائر المسلمين [598].
ولعل بهذه الإجابة يزول الإشكال، وعلى المسلم أن يكون حريصاً في التماس طريق الرسول ρوأن يحذر من دعاة الضلال وأرباب الفرق والطرق والجماعة المتحزبة التي اختارت ضيق الطريقة على سعة الإسلام، فدين الله عالمي لا طائفي ولا حزبي.
وهذه الجماعات والطرق والأحزاب ضررها على المسلمين أكثر من نفعها، وقد حذر العلماء من الولوج فيها قديماً وحديثاً.
قال الإمام ابن حزم: واعلموا رحمكم الله أن جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيراً، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفع للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين.
ثم ختم تحذيره بنصيحة المسلمين فقال: فالله الله أيها المسلمون تحفظوا بدينكم... الزموا القرآن وسنن رسول الله ρ، وما مضى عليه الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون وأصحاب الحديث عصراً عصراً الذين طلبوا الأثر فلزموا الأثر، ودعوا كل محدثة فكل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالة في النار [599].
وان شاء الله تعالى يلية الجزر الثاني .

---

[598] ينظر: العلم الشامخ في تفضيل الحق على الاباء والمشايخ - ويليه : الأرواح النوافخ،صالح بن مهدي المقبلي اليمني(المتوفى 1108ه) مصر،ط/1، 1328 هـ ،ص512– 517 .
[599] الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة ، 4/ 171.

❖